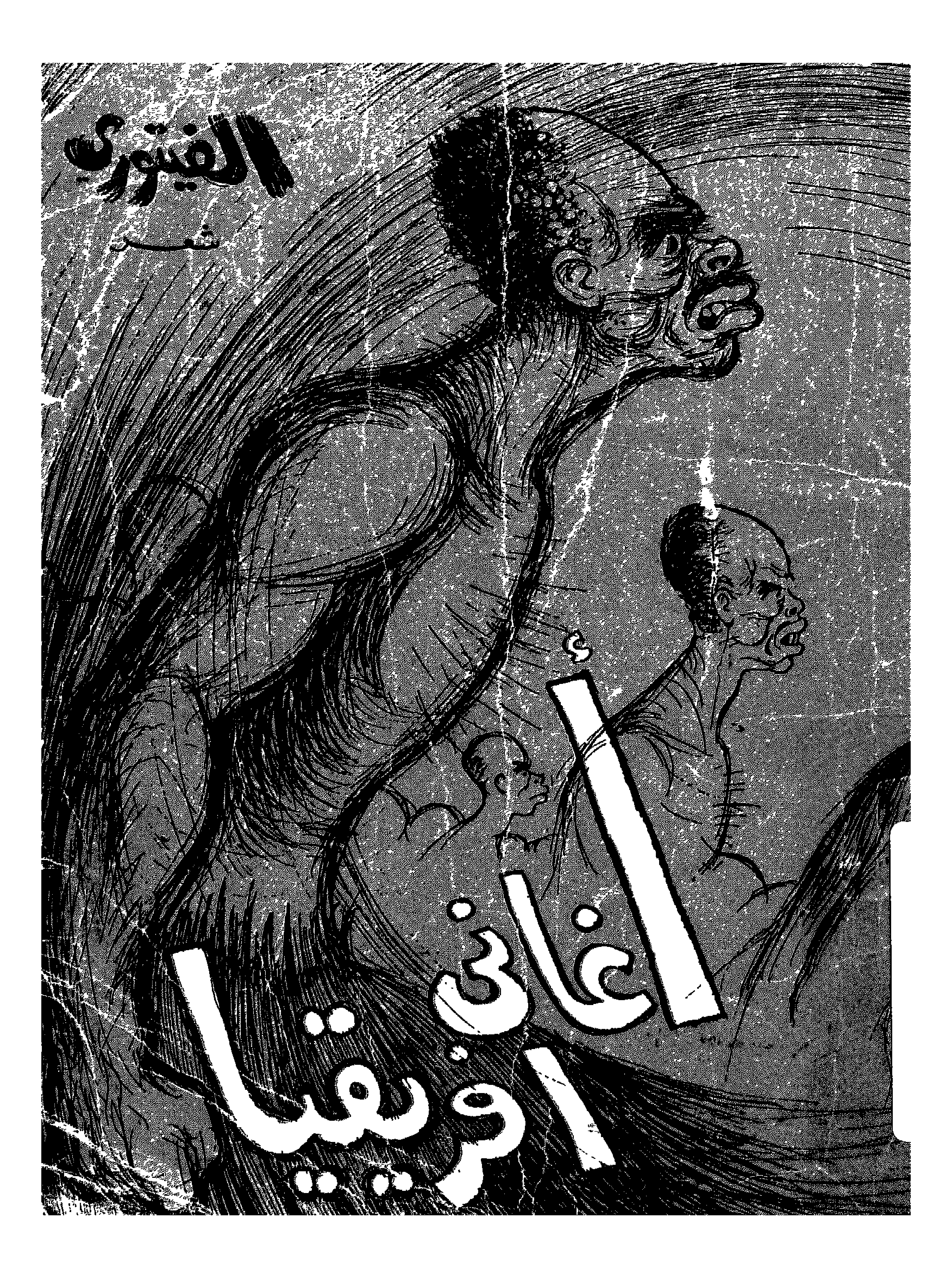

الفيتوري
شعر
أغاني
أفريقيا

أغانى أفريقيا

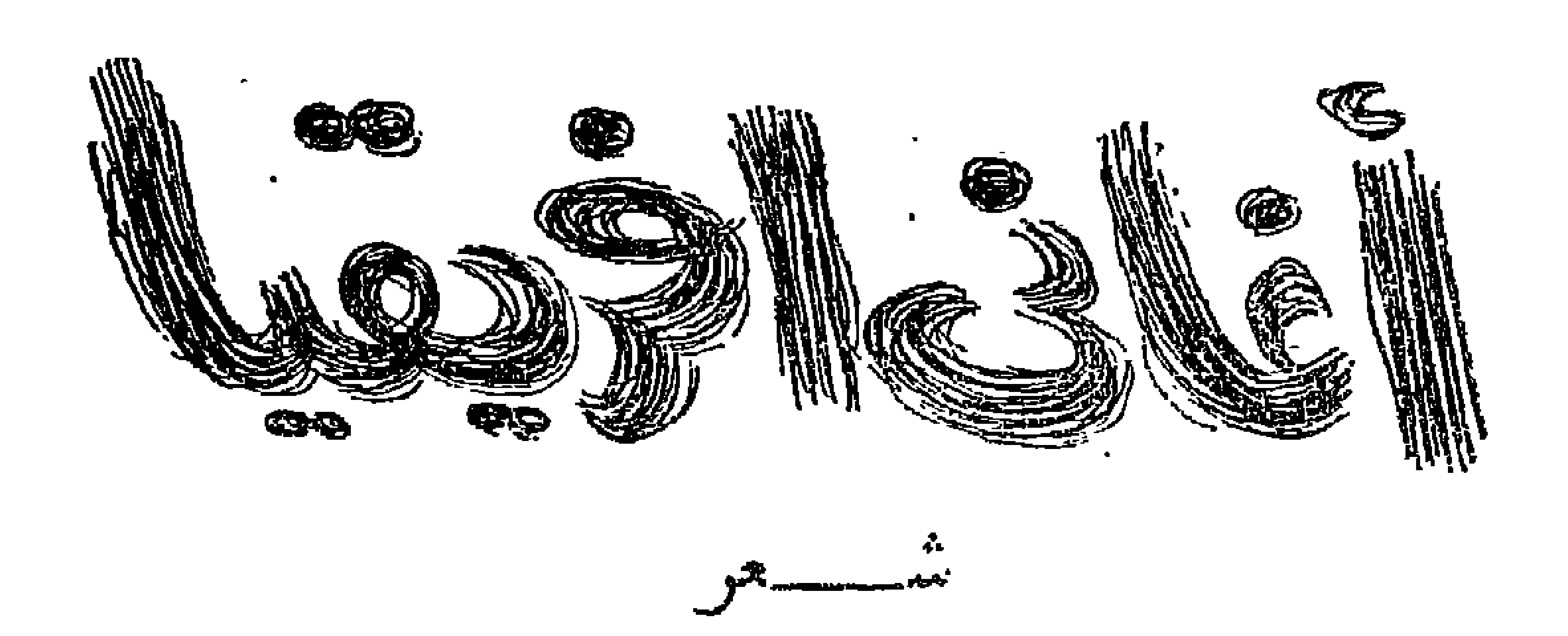
اللوحات بريشة الرسام السودانى الموهوب

حسن حاكم

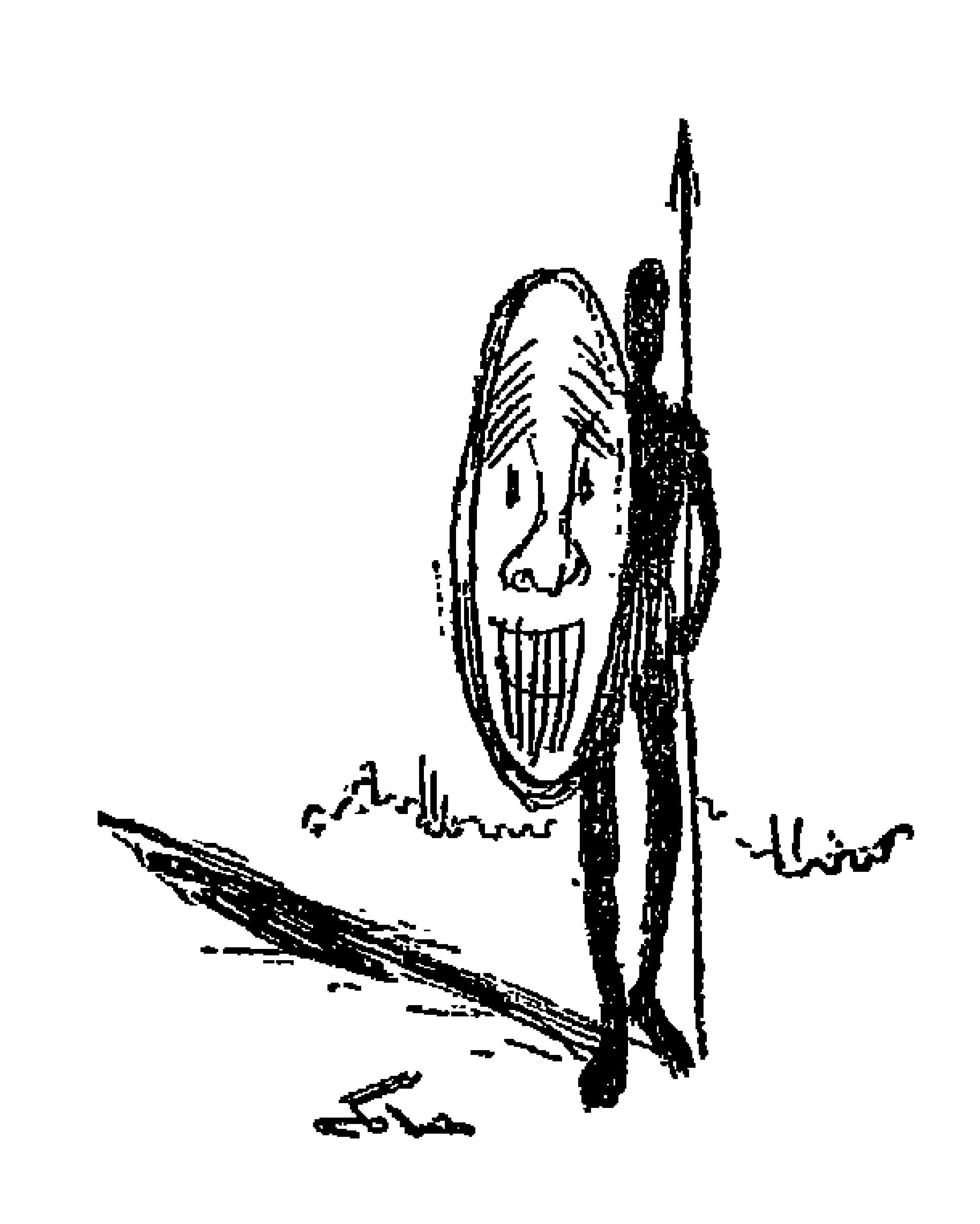
الطبعه الأولى

القاهرة — اكتوبر ١٩٥٥

الفيتوري



شعر



الناشر :

مكتبة المعارف بيروت

مطبعة دار البنا بشارع الصحافة ببولاق مصر

هذا الديوان

هذا الديوان شيء جديد في شعرنا القومي ، لا لأنه كما يحسب البعض ، أول ديوان اكتملت فيه شاعرية أحد أبناء الجلدة الأفريقية ، وإنما لأنه أول ديوان شعر اكتملت فيه عناصر الفن القومي « لأبناء جلدة الفرزدق » و « نصيب » على السواء .

والفن القومي ، هو الانعكاس الحي للرؤى التي تسبح في وجدان مجتمع ما ، في لحظات سيكولوجية معينة ومن هنا كان الفنان القومي افعل في توجيه قومه لأن لكل عنصر من عناصر عمله الفني ، جارحة تهفوا إليه في ذلك الوجدان الاجتماعي .

وفي مصر اليوم مدارس شعرية ثلاث : مدرسة « الكلاسيكية المرتدة » التي خلفها شوقي ، وهي مدرسة على الرغم من تغييرها « للقالب » ما زالت تتنفس بالعناصر الكلاسية المحض ، على رغم أنف القالب المحدث الخادع .

ومدرسة المنزع العالمي الجديد ، وهي مدرسة نحتت عناصرها من ضمير الأحلام السياسية الصادقة وليس فيها من عناصر الشعر إلا هذه الأحلام ، أما اللحظات السيكولوجية ، فغريبة عنا ، وعن غيرنا بحيث قد لا يطرب منها إلا السابحون في لفظة العالميه .

والمدرسة الأولى أخصب بعناصر الفن ، وفقيرة معدمة في التعبير عن أحلام مجتمعنا .

والمدرسة الثانية خصيبة فى التعبير عن أحلامنا ، فقيرة معدمة فى عناصر الفن .

والمدرسة الأولى فاقدة فعاليتها ، لأننا لم نعد بالمجتمع الذى يهتز للجمال التجريدى .

والمدرسة الثانية فاقدة فعاليتها ، لأنها لاتنحت عناصر وجودها من وجداننا . وهى لا « تحضنا » على تغيير واقعنا إلى واقع أفضل ، وإنما تحكى لنا فى قضايا منطقية باردة عن جمال هذا الواقع المنتظر .

والحض ، هو العنصر الشعرى الفذ، الذى تكون من الفكرة والغنائية معا ، والذى هو بمثابة الوسيط الرائع لنقل الانفعال من الشاعر إلى قارىء الشعر ، وبه تتصل بينهما الرؤى واللحظات السيكولوجية ، ويشترك الوجدان بحيث يصبح حض شاعر ، واستجابة القارىء وجدانا إجتماعيا .

وتلك بعض خصائص المدرسة الثالثة .. مدرسة الفن القومى .

والفيتورى صاحب هذا الديوان ، واحد من أبناء هذه المدرسة ، واحد من أصدق العاملين على تحديد قسماتها ، فى تمثالها المهيب الذى يقيمه أبناؤها من الرخام الأسود . .

زكريا الحجاوى

مقدمة

هى رحلة شعرية من طراز فريد ...

بدأها الشاعر من حيث الأعشاب تتكسر تحت الأقدام الموحلة وحيث الأقبية الرطبة ، والتوابيت المكتنزة بالأحقاد والمخاوف وحيث الأشجار السوداء والظلال الحقيرة . . . وراح يواصل حركته الزاحفة خلال الدهاليز والمفاوز والمشاعر الصفراء ، حتى توج ضوء النهار جبينه الظافر .

فى البداية كان يحس فى أغواره الباطنه إحساسا بالغا بالضياع ولم يكن يستشعر انتسابا حقيقياً إلى وطن .

بل كان ينتسب إلى أكثر من أرض .

فهو زنجى الجد من أعالى بحر الغزال ، وهو مصرى الأم ... وهو سودانى الوالد ... وفوق هذا وذاك قضى الجانب الأكبر من حياته فى مدينة كبيرة على شاطىء البحر الأبيض المتوسط لايهدأ لها نشاط هى مدينة الاسكندرية . . .

ومنذ طفولته المبكرة . . . كانت ترتعد فى آذانه أصوات طبول ودفوف، وترتعش أيام عينيه أجساد بشرية ترقص رقصات متوفزة ... فلقد كان والده من رجال الطرق الصوفية ... لا يمل القيام بموالدها وطقوسها .

وكانت بشرته السوداء تقيم بينه وبين المدينة التى يحيا فيها

حاجزاً كثيفاً ... يحرمه المشاركة والإندماج ، ويؤجج فى باطنه مشاعر مريرة صفراء ، ويشحذ حساسيته .

وكان يقف على العتبة الأخيرة من الفئه البورجوازية الصغيرة يمتلىء وجدانه بصراعها المرير من أجل العيش . وتمزقه قيمها المنهارة القلقة ، وترددها القاتل ، وتهدده هوات الشقاء التى تفتأ تتسع تحت أقدامها بين يوم وآخر . . . فى هـذه المدينة التجارية الكبيرة التى لا تكف سفنها عن المجيء والذهاب ، والتى تقيم فيها الطبقة الأوروستقراطية الأوربية البيضاء مجتمعاً يكاد أن يكون مقفلا على أبناء البلاد . . . والتى لا تعرف الوجه الأسود إلا خادماً ذليلا . .

واتخذت رحلته من الشعر مركبا لها . . . واستهلت سبيلها متخذة حمولتها من هـذه الأجواء جميعاً . . حصيلة من الضياع والغربة والاحساس البالغ بالدمامة والمهانة .

وفى البداية كانت وجهته سماء فسيحة لا حدود لهـا ... هى اللامكان . . .

يا ليتنى فراش نحل جناحاه على هيكله شعلتان
يا ليت قلبي قلبه ويدى جناحه وموطنى اللامكان .

فراراً من تلك المدينة الكبيرة التى يعيش فيها ، ومن كافة المدن الأخرى التى انتقل إليها فيما بعد . . فهكذا كان يخاطب الصفصافة وهو فى طريقه .

وأنت مثلى فى فرار نفسى
من صخب المدينة المثير
لكننى أفتات بانفعالى
من زحمة المجتمع الشرير

وكان يسير فى طريقه أقرب إلى الموت منه إلى الحياة

وكنت أمشى متخما بالردى
كدودة تزحف بين القبور .

مستشعراً بشرته السوداء فى مرارة بالغة .

فقير أجل . . ودميم دميم
بلون الشتاء . . بلون الغيوم
يسير فتسخر منه الوجوه
وتسخر حتى وجوه الهموم

وقد يصل الأمر به إلى حد السخرية الحادة . .

دميم . . فوجه كأنى به
دخان تكثف ثم التحم
وعينان فيه كأرجوحتين
مثقلتين بريح الألم
وأنف تحدر ثم ارتمى
فبان كمقبرة لم تتم
ومن تحتها شفة ضخمة
بدائية قلما تبتسم . . !
وقامته لصقت بالتراب
وإن هزئت روحه بالقمم

وكانت روحه هذه التى هزئت بالقمم هى حلقته للنجاة ، هى كبرياؤه الذى أبقى على قواه المجاهدة . . وأتاح له مواصلة الطريق . . رغم هذه الدمامة ، ورغم حساسيته التى كانت تشقيه أكثر ماتشقيه دمامته.

لم تشقنى دمامتى فى الورى
لم تشقنى إلا حساسيتى

ولكنه لم يكن جادا فى إحساسه بالدمامة أو كان مغاليا فى هذا .. فهو ليس دميا .. ولم تكن بشرته السوداء العقبة الحقيقية فى سبيل الوصول .. فى سبيل الخلاص الذى ينشده . . بل كانت العقبات الحقيقية تكمن فى باطنه . . مشاعر حاقدة سوداء .

عندما تورق الكآبة فى صحراء نفسى الحزينة المسكينة
أتمنى لو كنت دودة حقل
تلتوى فى شقوقه مستكينه
أتمنى لو كنت ذئباً شريراً
لم تلوث خطاه أرض المدينة
أتمنى لو كنت طفلا ضريرا
عصبت راحة الظلام عيونه
أتمنى لو لم أكن عبد حقد
وجنون وغيرة وضغينه .

[وكان يهتف فى بساطة وعمق ..
وناري ملعونة . . حاقدة

ولكن الشاعر سرعان ما أخذ يتحسس لرحلته اتجاها جديداً ، ويتخذ لمشاعره وانفعالاته وطناً آخر غير الغربة والضياع واللامكان .

ومن لون بشرته ، ومن إحساسه العميق بالمرارة والحقد ، ومن طبول الذكر صاغ له وطنا بعيدا نائيا هو أفريقيا . كان يدرك

أنه بعيد ناء . . ولكن كان هذا يتفق مع بقاء إحساسه بالغربة والفقد ، وكانت علاقته بهذا الوطن البعيد فى البداية علاقة انفعالية خالصة . فلقد انتقل إليه بكافة أدواته . . مشاعره الحاقدة المتوفزة ، رؤاه الحزينة ، الطبول المجلجلة ، إلى جانب استعانته بعناصر محلية من الريف المصرى كالمحاريث والسواقى والمناجل . . ولم يكن غريباً عن الريف المصرى فلقد قضى فيه سنتين أثناء الحرب العالمية الثانية .

وفى البداية أيضا كانت أفريقيا طريقا للخلاص الذاتى . . . كانت ذاتا كذاته تريد أن تستفيق من أحقادها ، وتتحرر من قيودها اللونية وتخرج من أقبيتها المظلمة . .

افريقيا . . استيقظى من ذاتك المظلمة
استيقظى من نفسك القابعة . .

كانت افريقيا وطنا بعيداً نائيا . . كانت طريقا وهدفا . . فأخذ يلونها بلون مشاعره ، ويوحد تاريخه بتاريخها . . ويخلع عليها مأساته الخاصة ، ويبصر من خلالها بخلاصة المنشود

لتنتفض جثة تاريخنا
ولينتصب تمثال أحقادنا
آن لهذا الأسود المنزوى
المتوارى عن عيون السنى
آن له أن يتحدى الورى

لقد أصبحت له أفريقيا رؤيا تحريرية ، يتخلص خلالها من أزماته الباطنة ويخلع عليها صراعه النفسي المرير . . فيقول على لسانها أو تقول افريقيا على لسانه .

انني مزقت أكفان الدجى
لم أعد مقبرة تحكى البلا
لم أعد ساقية تبكى الدمن

ويهتف بالملايين الأفريقيين أو تهتف به..

يا أخى فى كل أرض وجمت شفتاها
واكفهرت مقلتاها
قم تحرر من توابيت الأسى

إنه يستيقظ من ذاته الحزينة الأسيانة ، وكذلك تستيقظ أفريقيا وتتألق فى ضوء الفجر . . .

الفجر يدق جدار الظلمة فاسمع ألحان النصر
ها هى الظلمة تتداعى . . تساقط تهوى فى ذعر
ها هو ذا شعبي ينهض من أغماءته عارى الصدر

وهو أيضاً قد صحا :

إنى صحوت . . صحوت من أمسى
وذى فأسى تهد قبوره هدأ

لقد صحا الشاعر من أقبيته الرطبة ، من ظلماته الحاقدة ، وامتدت فروع نفسه تحمل الورد على أطرافها الوضيئة .

لقد كانت افريقيا رمزه الأكبر لخلاصه الداخلى ووسيلته

للارتباط شيئاً فشيئاً بالواقع الموضوعى الكبير ، وعودة الثقة إلى نفسه ، الثقة بنفسه ، والثقة بالإنسان وبالحياة .

ومن هنا أخذت افريقيا نفسها تتخذ رؤيا شعرية جديدة . . لم تعد طبولا زاعقة ، ولا تماثيل حاقدة ولا أغنيات متوفزة بل أصبحت صوراً هادئة يدفق فى عروقها دم الواقع البسيط .. ينظر الشاعر من شرفته الجديدة فيبصر . .

سفنا تغدو وأخرى رائحة
سفنا مكتظة بالأسلحة
وبأبناء بلادى
وبخيرات بلادى
وبتاريخ بلادى .

وانفتح أمامه طريق رحب . . وتكشفت له حقيقة المشاعر السلبية الصفراء .. التى عوقت حركته زمنا . .

ولأن الحزن نار باردة
تتمطى فى صدور من جليد
بقيت افريقيا مستعبدة
تخلع القيد إلى قيد جديد

* * *

ولأن الضعف سجن
ولأن الخوف سجن
ولأن الماضى المظلم سجن
بقيت أفريقيا مستعبدة
تنقب السجن إلى سجن جديد .

ولم تعد المعركة معركة افريقيا وحدها .. لم تعد معركة لونية .. بين أبيض وأسود ، بل أصبحت معركة قيم إنسانية عامة .. معركة بين استعمار وشعوب ، بين طغاة وأحرار ثائرين . .

— ذات يوم طرقوا الباب ومروا داخلين
من أنتم ؟ ماذا تريدون
وماذا تحملون ؟
لكنهم ألقوا إلى قرب الجدار جثته
وحدقت فى وجوه الذكريات الميته
وجففت مدامعى دموع الآخرين .

وتلقفت روحه مشاعر الانتصار والظفر . . وكانت مشاعر بسيطه . . بسيطه . . صادقة .

—غدا يمر موكب الجوع بدربنا القذر
فاخضوضرى يا سنوات القحط وانزل يامطر
اغرق حقول الأرز والقمح واغرق النهر
وامسح بكفك الرمادية أحزان الشجر
لابد أن تصبح يوما غلة الحصاد لى
وتصبح السماء والأرض ومجرى الجدول
وتنتهى مجاعة التراب والبشر !
حقا . . لقد توج ضوء النهار جبينه الظافر .

* * *

ومع الحركة الدائبة لهذه الرحة الشعرية كانت لغة الشاعر

وتعابيره وصوره تتطور بتطور مراحله وانتصاراته وقيمه الجديدة . .

فى بداية الرحلة كانت الغنائية هى الطابع المميز للكلمة والتعبير . . وكانت تثب أحياناً إلى حد الخطابة . . وكانت قدرة الشاعر الخارقة على التجسيد وإبراز القسمات لا تتعدى حدود الصور الجزئية . وكانت الرؤى والصور شفافة بالإنفعالات والمشاعر المتوفزة . ثم أخذت هذه الغنائية تخف شيئاً فشيئاً فلم تعد القيمة الأولى للتعبير . . بل أصبحت أداة لابراز الدلالة . . واختفت الخطابية إلا فى بعض المقطعات الصغيرة فى مرحلته الأخيرة . . عندما تعلوا طبول افريقيا . . ويشتد الحنين الجارف إلى الخلاص الأخير .

وأصبحت قدرة الشاعر على التجسيد والتصوير وإبراز القسمات ذات طابع متكامل إلى حد كبير لايقف عند حدود الجزء بل يمتد فيشمل القصيدة كلها كما فى قصيدته العملاقة « الطوفان الأسود » وفى قصيدة « مات غداً » . ولكنه كثيراً ما احتفظ بمقطعات منفصلة وصور مجتزئة داخل القصيدة الواحدة كما فى قصيدته « أغانى أفريقيا » التى تكاد تتكون من أكثر من مقطوعة مستقلة . . لايجمعها إلا الرؤيا الأفريقية العامة . . وصوت الطبول .

لقد تطورت أدوات الشاعر التعبيرية مع تطور وعيه وتكامل حسه بالواقع . وما تزال أمامه مراحل جديدة ما أجدره بأن يخطوها فى ثقة .

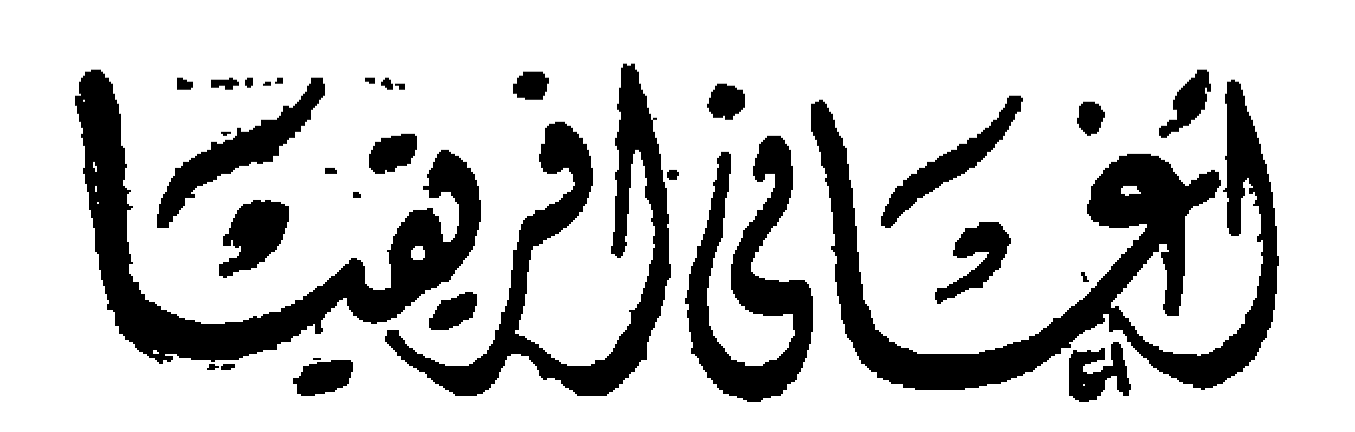
واليوم يقف محمد الفيتورى فى مستهل طريق جديد ، خلص

إليه بعد كفاح صادق مرير ، يقف جسوراً غير هياب وعلى سنه التي لا تتجاوز الخمس والعشرين ترقد مسئوليات جسام ، نحو هذه الرؤيا الإنسانية الصادقة التي امتلأ بها وجدانه .

ونحو هذا الطريق الممتد أمام جبينه الظافر .. طريق الإنسان المكافح والحياة الصاعدة .

فما أروع ما ننتظره من أغنيات من رحلته البطولية الجديدة .

محمود أمين العالم


أغاني أفريقيا

اهداء

الى قوافلهم الحزينة المتزاحفة نحو الشمس في انفعال

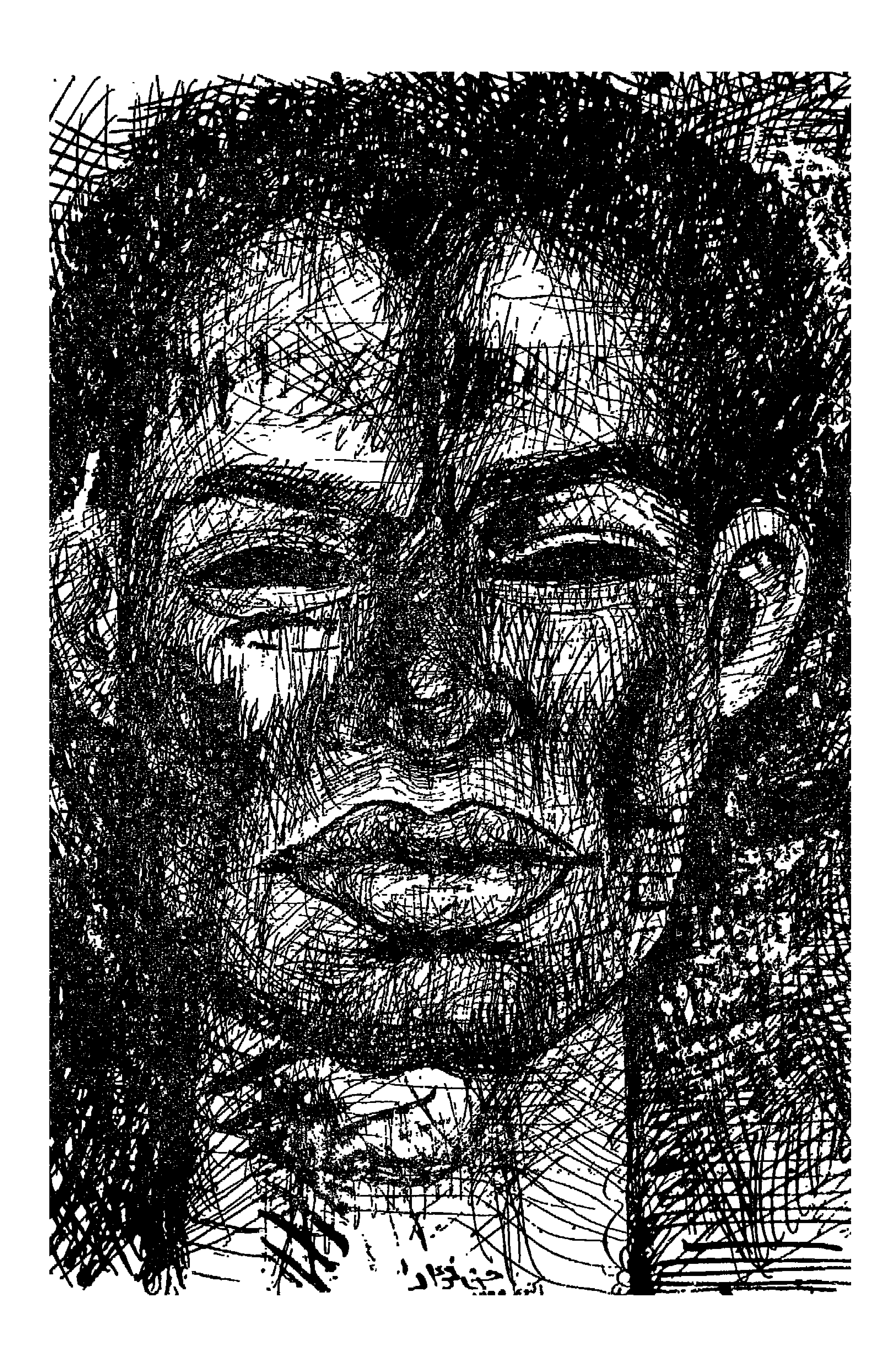
الليل أغاني تغرس دروبهم بالافرا

[illegible]

أحزان المدينة السوداء

لوحة مهداة بريشة الفنان الانسان

حسن فؤاد



أحزان المدينة السوداء

على طرقات المدينة
إذا الليل عرّشها بالعروق
ورش عليها أساه العميق
تراها مطأطئة فى سكينه
محدّقة فى الشقوق
فتحسبها مستكينه
ولكنها فى حريق!

* * *

على طرقات المدينة
وحين يشيد الظلام
تماثيله المرمريه
ويهدمها فى عقوق
وتهبط بالكائنات
سلاسله اللولبية
الماضى سحيق، سحيق

وتغرق فى الذكريات
سواحله العنبريه
وتوشك ألا تفيق
وينهض فى كل ذات جدار
من الطين ، والماس ، والشهوات
وينعس ليل ، ويصحو نهار
يصف القناديل للظلمات
هناك تجف دماء السكينة
جفاف القبور
ويصبح قلب المدينة
كشيء حقير
كمدفأة فى الهجير
كمسرجة فى طريق الضرير
كافريقيا فى ظلام العصور
عجوز ملفعة بالبخور
وحفرة نار عظيمه
ومنقار بومه

وقرن بهيمه
وتعويذة من صلاة قديمة
وليل كثير المرايا
ورقصة سود عرايا
يغنون فى فرح أسود
وغيبوبة من خطايا
تؤرقها شهوة السيد
وسفن معبأة بالجوارى الحسان
وبالمسك ، والعاج ، والزعفران
هدايا بلا مهرجان
تسيرها الريح فى كل آن
لأبيض هذا الزمان
لسيد كل زمان
وتمتد مزرعة فى خيال الوجود
ستكسو عراة ، وتعرى عراة
وتجرى كآباتها فى عروق الحياة
وتصبغ لون المياه

وتصبغ وجه الإله
وتضحك أحزانها فى الشفاه
وتنبت حتّى الطغاة
وحتّى العبيد
وحتّى الحديد
وحتّى القيود
وتنبت فى كل يوم جديد

* * *

ولكنهم حين يبنى الظلام
على طرقات المدينة
حواجز من حجر أسود
يمدون أيديهم فى سكينه
إلى شرفات الغد
وهم صرخات سجينه
بأرض سجينه
وأيامهم ذكريات طعينه
لأرض طعينه

وأوجههم كالأكف ، حزينه

تراها مطأطئة فى سكينه

محدقة فى الشقوق

فتحسبها مستكينه

ولكنها فى حريق !





إنا سنكسوها بأفراحنـــا .·. كما كسوناها بأحزاننـــا

أجل . . فإنا قد أتى دورنا .·. أفريقيا . . إنا أتى دورنا

إفريقيا . .
إفريقيا استيقظي . .
استيقظي من حلمك الأسود
قد طالما نمت . . ألم تسأمي ؟
ألم تملي قدم السيد ؟ !
قد طالما استلقيت تحت الدجى . .
مجهدة . . في كوخك المجهد
مصفرّة الأشواق . .
معتوهة
تبني بكفيها ظلام الغد
جوعانة . . تمضغ أيامها . .
كحارس المقبرة المقعد . . !
عريانة الماضي . .
بلا عزة تتوّج الآتي . .

ولا سؤدد !

* * *

إفريقيا . .
إفريقيا استيقظى
استيقظى من ذاتك المظلمه
كم دارت الأرض حواليك . .
كم دارت شموس الفلك المضرمه
وشيَّد الناقم ماهدَّمَهْ . .
وحقّر العابد ماعظمه . .
وأنت لا زلت كما أنت . .
كالجمجمة الملقاة . .
كالجمجمه . . .
واعجبا ألم تفجِّر شرايينك سخرياتُهم . .
يا أمه !

* * *

إفريقيا . .
إفريقيا استيقظى . .

استيقظى من نفسك القابعه
أكل ماعندك أن تصبحى مزرعه .
للأرجل الزارعه
أكل ماعندك أن تلعق أحذية المستعمر اللامعه
أكل ماعندك أن ترقدى
خاملةً . . خائرةً . . خاضعه
أكل ما عندك أن تضحكى
هازئة بالقيم الرائعه . .
أكل ماعندك أن تصدرى قوافل الرقيق . .
يا ضائعه !

* * *

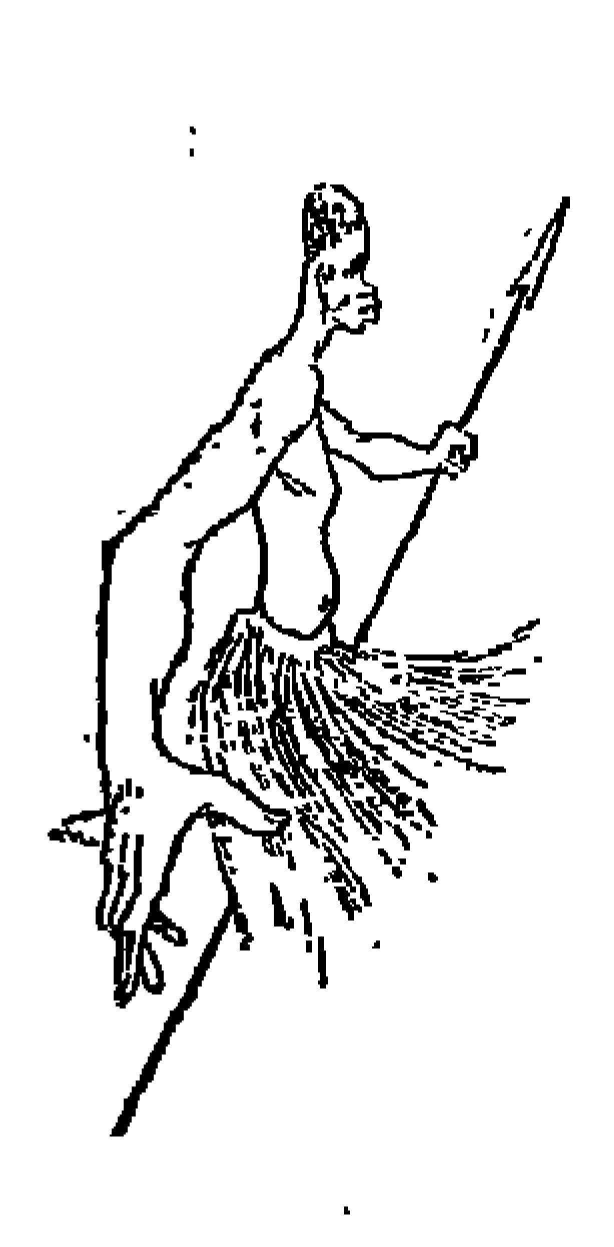
إفريقيا . .
إفريقيا النائيه
يا وطنى . . يا أرض أجداديه
إنى أناديك . .
ألم تسمعى صراخ آلامى وأحقاديه !
إنى أناديك . .

أنادي دمي فيك . .
أنادي أمتي العاريه . .
انى أنادي الأوجه الباليه
والأعين الراكدة . . الكابيه . .
فويك إن لم تحضنى صرختى
زاحفةً من ظلمة الهاويه
عاصفةً بالأبيض المعتدى عليك . .
يا إفريقيا الغاليه . .

* * *

لتنتفض جثة تاريخنا . .
ولينتصب تمثال أحقادنا
آن لهذا الأسود . . المنزوى
المتوارى عن عيون السنا
آن له أن يتحدى الورى . .
آن له أن يتحدى الفنا . .
فلتنحن الشمس لهاماتنا . .
ولتخشع الأرض لأصواتنا . .

إنا سنكسوها بأفراحنا . .
كما كسوناها بأحزاننا
أجل . .
فإنا قد أتى دورنا
إفريقيا . .
إنا أتى دورنا . . !





كانت جموع السحب . .
كان الدجى يرخى جناحيه على القرية !
وكانت الأوجه ذات الأسى . .
ذات العيون الاستوائيةِ . .
قد انزوت خلف سراديبها
تحلم بالنار ، وبالثورة
تحلم بالثأر لتاريخها . .
من العدوّ الأبيض الجثة . .

* * *

وقال طفل أسود :
يا أبى ، إنى أخاف الرجل الأحمرا
فهو إذا أبصرنى سائرا يبصق فوق الأرض مستكبرا
فلا تدعه يا أبى بيننا
فهو غريب فوق هذا الثرى
اقتله . . اقتله . .

فياطالما مزق أعماقى مستهترا !

* * *

وقال شيخ مقعد ..
شققت جبهته السوداء فأس الزمن ..
كنت صغيرا ..
عندما أبصرت عيناى وجه الأبيض المحتقن ..
ولم أزل أذكر لى أخوة
مشوا عبيدا .. تحت ثقل القيود ..
والسيد الأبيض من خلفهم
وسوطه .. ملتصق بالجلود ..

* * *

ولم أزل أسمع أصواتهم ..
والعرقُ الدامى يغطّى الجباه ..
والشمس من فوقهم ..
موقد أحرق حتّى العشب ..
حتّى المياه !
ولم أزل أذكرهم كلهم

ذوو الوجوه الصارمات الوجوه
بلال ، والنمر ..
ودود والذى لما تحدى بطشهم أعدموه !

* * *

وحينما قلت : إلى أين هم ماضون ؟!
قالوا : نحو أرض بعيده . .
وحينما قلت : ألن ترجعوا ؟
. . مات الصدى فوق الشفاه البليده !

* * *

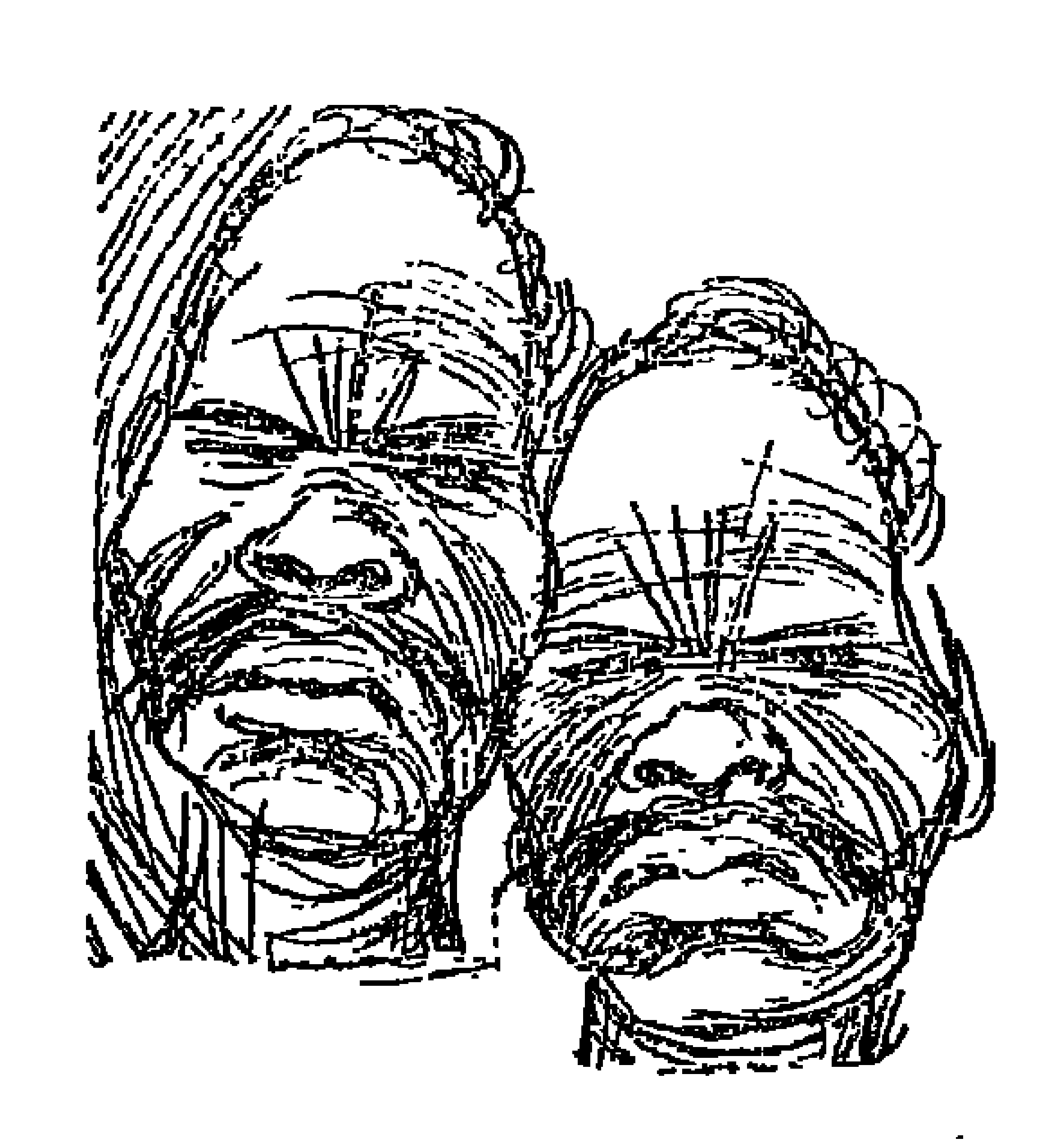
وسكت الشيخ :
وشق الدجى صوت فتاة جثمت عن كثب
قالت ، وأبدت جسدا عاريا . .
تلفه عاصفة من غضب . .
هنا ، هنا وراء هذا الجدار اللامع . .
المطلى بأحزاننا . .
يضطجع السيد . . فى جنة
مسقوفة بعظم أجدادنا . . !

فاختلجت تلك الوجوه . .
التى ياطالما ضاع أساها سدى
وانتصبت أذرعهم فى الدجى
مثل محاريث علاها الصدا

* * *

وابتلع الصمت العميق ، البعيد
غابات أفريقيا وما فيها . .
وعندما جاء الصباح الجديد
كان اللظى ملء روابيها . . !

١٩٥٣





أنا أدعوك . . فهل تعرفنى ؟   يا أخا أعرفه رغم المحن ؟

يا أخي في الشرق ، في كل سكن
يا أخي في الأرض ، في كل وطن
أنا أدعوك . .
فهل تعرفني . .؟
يا أخا أعرفه .. رغم المحن !
إنني مزقت أكفان الدجى
إنني هدمت جدران الوهن
لم أعد مقبرة تحكي البلى ..
لم أعد ساقية تبكي الدمن . .
لم أعد عبد قيودي ..
لم أعد عبد ماض هرم . .
عبد وثن . .
أنا حيٌّ خالد رغم الردى ..
أنا حر رغم قضبان الزمن
فاستمع لي .. استمع لي ..

إنما أذن الجيفة صماء الأذن

* * *

إن نكن سرنا على الشوك سنينا
ولقينا من أذاه مالقينا . .
إن نكن بتنا عراة جائعينا ..
أو نكن عشنا حفاة بائسينا ..
ان تكن قد أوهت الفأس قوانا . .
فوقفنا .. نتحدى الساقطينا
إن يكن سخرنا جلادنا ..
فبنينا لأمانينا سجونا ..
ورفعناه على أعناقنا ..
ولثمنا قدميه .. خاشعينا ..
وملأنا كأسه من دمنا ..
فتساقانا جراحا وأنينا ..
وجعلنا حجر القصر رؤوسا ..
ونقشناه جفونا وعيونا ..
فلقد ثرنا على أنفسنا ..

ومحونا وصمة الذلة فينا ..

* * *

الملايين أفاقت من كراها ..

ما تراها .. ملأ الأفق صداها ..

خرجت تبحث عن تاريخها ..

بعد أن تاهت على الأرض وتاها

حملت أفؤسها وانحدرت من روابيها ..

وأغوار قراها .. !

فانظر الإصرار فى أعينها

وصباح البعث يجتاح الجباها ..

يا أخى فى كل أرض عريت من ضياها ..

وتغطت بدجاها ..

يا أخى فى كل أرض وجمت شفتاها ..

واكفهرت مقلتاها ..

قم .. تحرر من توابيت الأسى ..

لست أعجوبتها .. أو مومياها

انطلق فوق ضحاها ومساها .

يا أخى قد أصبح الشعب الـٰها . .

* * *

جبهة العبد . . ونعل السيد !

وأنين الأسود المضطهد ..

تلك مأساة قرون غبرت

لم أعد أقبلها .. لم أعد . !

كيف يستعبد أرضى أبيض ..

كيف يستعبد أمسى وغدى . ؟

كيف يخبو عمرى فى سجنه ..

وجدار السجن من صنع يدى !

أنا زنجى ..

وافريقيتى لى لا للأجنبى المعتدى . .

أنا فلاح .. ولى أرضى

التى شربت تربتها من جسدى

أنا إنسان .. ولى حريتى

وهى أغلى ثروة من ولدى ..

أنا حر مستقل البلد ..

وسأبقى مستقل البلد

* * *

ها هنا واريت أجدادى .. هنا ..
وهم اختاروا اثرا ها كفنا ..
وسأقضى أنا من بعد أبى ..
وسيقضى ولدى من بعدنا ..
وستبقى أرض إفريقيا لنا ..
فهى ما كانت لقوم غيرنا ..
نحن أهرقنا عليها دمنا ..
ومزجنا بثراها عظمنا ..
وشققناها بحاراً وربى ..
وزرعناها سيوفاً وقنا ..
وركزنا فوقها أعلامنا ..
وتحدّينا عليها الزمنا ..
وسنهديها إلى أحفادنا
وسيحمون علاها مثلنا
فاسلمى يا أرض إفريقيا لنا

اسلمى يا أرض إفريقيا .. لنا

١٩٥٢





. . . وأبي زنجي الجد . . . وأمي زنجية . . !

قلها لاتجبن . . لاتجبن !

قلها فى وجه البشريه ..

أنا زنجىّ ..

وأبى زنجىٌّ الجدّ .

وأمى زنجيه ..

أنا أسود . .

أسود لكنى حرٌ أمتلك الحريه

أرضى إفريقيه ..

عاشت أرضى ..

عاشت إفريقيه !

* * *

أرضى .. والأبيض دنسها

دنسها المحتلُّ العادى . .

فلأمض شهيداً ..

وليمضوا مثلى شهداء أولادى

فوراء الموت . . وراء الأرض

تدوّى صرخة أجدادى . .
لستم ببنينا إن لم تذر الريح رماد الجلاد

* * *

لستم ببنينا إن لم يجل الغاصب عنها مدحورا
إن لم تخلع أكفان الظلمة ..
إن لم تتفجر نورا ..
إن لم يرتفع العلم الأسود ..
فوق رباها .. منصورا
إن لم يحن التاريخ لكم جبهته فرحان فخورا ..

* * *

الفجر يدك جدار الظلمة ..
فاسمع ألحان النصر ..
ها هى ذى الظلمة تتداعى . .
تسّاقط .. تهوى فى ذعر
ها هو ذا شعبي ينهض من إغماءته ..
عارى الصدر ..
ها هو ذا الطوفان الأسود ..

يعدو عبر السدّ الصخرى ..
ها هى ذى إفريقيا الكبرى ..
تتألق فى ضوء الفجر ..

١٩٥٤

الى وجه أبيض

ألئن وجهى أسود ..
ولئن وجهك أبيض ..
سميتنى عبدا ..
ووطئت انسانيتى ..
وحقرت روحانيتى
فصنعت لى قيدا
وشربت كرمى ظالما ..
وأكلت بقلى ناقما
وتركت لى الحقدا
ولبست مانسجت خيوط مغازلى
وكسوتنى التنهيد والكدا ..
وسكنت جنات الفراديس ..
التى بيدى نحتُّ صخورها الصلدا
وأنا .. كم استلقيت فى كوخ الدجى
أتلفع الظلمات والبردا

كالشاة .. أجتر الكآبة
عاقدا حولى دخان تفاهتى عقدا
حتى إذا انطفأت مصابيح السما
وانساب نهر الفجر ممتدا
أيقظت ماشيتى الهزيلة
وانطلقت أقودها لمراحها قودا
فاذا سمن نعمت أنت بلحمها
ونبذت لى الأمعاء والجلدا !

✲ ✲ ✲

لا ياأخى..!
إن التهاب مشاعرى هيهات بعد اليوم أن يهدا!
هيهات
لم أخلق عليها بومة
تقتات بالديدان .. أو قردا
أنا كائن .. أمى وأمك طينة
والنور ليس لأينا جدا ..
فالام تحرمنى حقوقى ..؟

بينما تلقى السعادة أنت والرغدا
وإلام تستعلى بأنفك سيدا ؟
وأنا أطأطئ هامتى .. عبدا

* * *

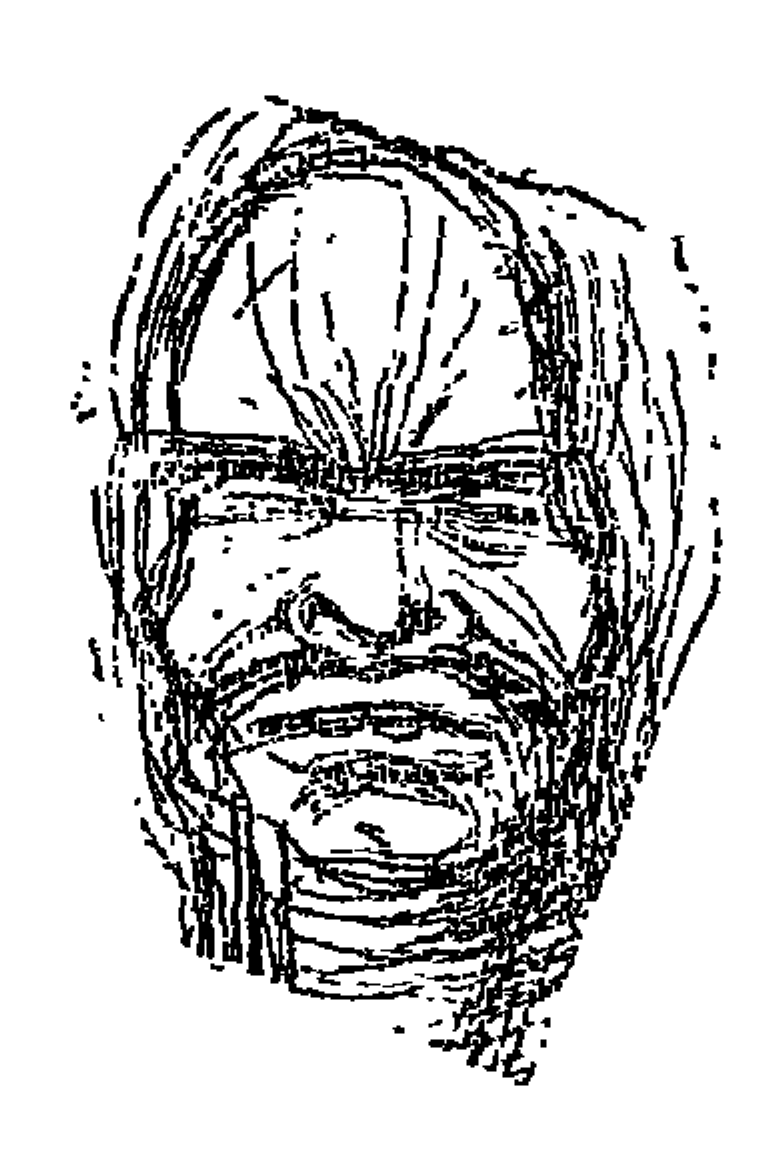
إنى صحوت ..
صحوت من أمسى
وذى فأسى تهد قبوره هدا
سأكون نارا .. فالحياة تريدنى نارا
وأرقص فوقها رعدا ..
فاخلع براقع كبريائك ..
إنى أسكنت جيفة ذلتى لحدا
واضمم يديك إلى يدىّ ..
نشد معا صرح المحبة بيننا شيدا

* * *

إنى أخوك فلا تعق أخوتى ..
فتزيد بركانيتى وقدا ..
إياك .. لاتبذر بذور عداوتى

فتعود تحصد شوكها حصدا
إياك لا تزرع حقولك عوسجا
إني زرعت حقولي .. الوردا

١٩٤٨





كذلك عشت ألوف السنين   تخرين فوق خطايا وثن ...
إلى أن تسلل ضوء الصباح   إليك... فمزقت عنك الكفن

لقد غسل النور أرضكِ . .
حتى سراديبُك الرطبة المظلمهْ
مشى الفجر فيها بأنفاسه . .
يفضّض أيامك القادمه
فهل تسمعين أغانى الزنوج
تدوى مثقلةً بالحياه ؟
وهل تبصرين وجوه العبيد ؟
تقهقه حول نعوش الطغاه !
لقد كنت مقبرة ، ضخمة
تدوس عليها خيول الغزاه
وكنت بقية أسطورة .. ملوثه
بصفّها الشفاه !

* * *

« بلاد العبيد . ! إفريقيا ..
يا بلاد الزنوج الحفاة العراه

ترى كيف يمشون فى عريهم
وكيف يعيشون خلف الحياه ؟ »
« وأجسامهم ..
ذلك الأبنوس العجيب !
المفصل مثل البشر
ونيرانهم فى شعاب الجبال
وأطفالهم فى بطون الشجر .. »

* * *

متى أجد المال ؟
كى أشترى حذاء ، وكلبا ، وثوبا جديد
وأمضى إلى أرض أفريقيا ..
لأصطاد قافلة من عبيد ! »
فإنى أمرؤ أبيض كالثلوج ..
ولست عظيما .. لأنى فقير
وقد كان لى رفقةٌ ..
ثم عادوا سراة عظاما ..
فلم لا أسير ؟ »

« لكم أشتهى جسدا دافئا
مهيباً .. لزنجية جامحه ..
فقد قيل أن لحوم الجوارى
لها نكهة .. ولها رائحة .. »
بلاد الكنوز. ! إفريقيا
يا بلاد الزنوج الحفاة العراه
سآتيك يوما . . كغاز جديد
يريد الغنى ، ويريد الحياه »

* * *

كذلك عشت ألوف السنين
تخرين ، فوق خطايا وثن ..
إلى أن تسلل ضوء الصباح إليك ..
فمزقت عنك الكفن ..
وقمت كماردة تتلقَّ الضحى
وتحوِّل مجرى الرياح ..
وتحفر تاريخها من جديد
على جبهة الشمس حفر الجراح ! !

فهل تسمعين أغانى الزنوج
تدوّى مثقّلة .. بالحياه
وهل تبصرين وجوه العبيد
تقهقه حول نعوش الطغاه !

* * *

كذلك كان يغنى لها
ويقرع ناقوسه فى جنون ..
وإن لم تزل تتلوّى القيود على قدميها
وتبنى السجون على أرضها ..
وتقام المشانق ترتجل الموت فى كل حين..!
فقد كان يحمل فى روحه
تمرد أجداده أجمعين

* * *

تمرد جد قضى ليلة يصب المياه على الموقد.
ولما أبى ..!
مزقته السياط
فحطم جمجمة السيد !

وآخر كانت تنام الشياه . وتصحو
على صوت مزماره
وفى ليلة ، كفرت روحه
بجزارها ، وبجزاره
فهب ، فأشعل أحقاده
فسالت جحيما بوجه الصنم
وأبصره الغد فوق الرمال
تكفنه عزة المنتقم !

* * *

وآخر أسود بادى العبوس
طويل ، رفيع ، كصارى سفينه
وقد حدثوا أن ميلاده
بإحدى ليالى الشتاء الحزينه
كما حدثوا أن أول جيش من البيض
دنّس أرض الوطن !
ينام بحفيرة حفرتها محاريثه
خلف سور الزمن ..

وقد كان يؤمن فى عمقه
بحرِّية السود ، والكادحين
وحتى الطغاة الذين انتهوا
وآلهة البشر الساقطين ..

* * *

وكالموت حين يغطِّى الحياه
بأفراحها ، وبأحزانها
وكالصمت حين يضم الحقول
بأصواتها وبألوانها
تراءت له مثل صفصافة
تفىء إليها جموع الظلال
وكانت اكف الهجير الضرير
تسمر أقدامه فى الرمال
فوسد أحزانه صدرها
وأطبق أجفانه فى سكون
كميت تداعبه موجة
وتهوى به فى اصطخاب حزين

وراح يرى ملء أحلامه
جزائر غارقة فى الغمام
يظللها نغم أزرق..
شفيف ، شفيف بلون السلام
وكانت هنا لك عند الشمال
حقول متَّوجة بالغلال
وقوم من السود مستغرقون
يرصُّون أكداسها فى التلال
وأصواتهم وزغاريدهم
ترفرف صاعدةً من بعيد
كما يتصاعد كل صباح ضبابُ الحقول
ببطءٍ شديد
وحين تصفُّ طيور الغروب
على الأفق أجنحها المذهبات
وتمضى تنقِّر ثوب السكون
بكل مناقيرها المتعبات
تراهم يلوحون فوق الدروب

أو يتوارون خلف الشجر
وهم عائدون إلى دورهم
بأيد مثقلة بالزهر

* * *

وأسكره حلمه العاطفى
فبعثر أشواقه أجمعين
وعانق إخوانه باكيا
ومد يديه إلى الآخرين
وهزته أفراحه . .
فأفاق على ظل صفصافة واقفه
وكانت جموع الزنوج العراة
تحرّكها ثورة العاصفه
فسار يغنى مع السائرين
وهم زاحفون إلى الطاغيه
ويحفر فوق جدار الزمان
أغانى إفريقيا الداميه !

١٩٥٣



مات . .

فلم تحزن عليه قطرة من المطر

ولا تجهمت أوجه حفنة من البشر

ولا أطل ذات ليل فوق قبره القمر

ولا تلوت دودة كسلى . .

ولا انشق حجر

مات غدا . .

متسخ الجثة . .

منسى الكفن

كحلم . .

— واستيقظ الشعب —

كإعصار نتن !

مر على حقول الورد ساعة السحر

* * *

مات . .

وملء روحه المسودة المحترقه

ماض يغطيه دم المشانق المعلقة
وصرخات الثائرين فى السجون المطبقة
وأوجه العجائز الأليمة . . المشققه
وهن يرفعن إلى السماء . .
فى أسى ذليل
أذرعة معوجة مثل مناجل الحقول
وأعينا يغوص فيها ظل مشنقة ! !

* * *

ياابنى . . !
ترى أين مضى الجند بوجهك الحبيب
فحرمونى شمة الثوب . . ونشقة الطيوب
لله . . ما أجمله ابنى . . فى شبابه القشيب
كأنما يمشى على كل عواطف القلوب
إبنى !
وأوصد السجان باب سجنه الكبير
وزحفت سلسلة راح يجرها الخفير
وانهار كرباج يلف الليل بالنحيب

وأنت يا أبي !
ألن تعود لي قبل الشتاء ؟ !
إنا جميعا لم نزل نبكي . .
نضج في البكاء . .
أنا ، وإخوتي ، وأمي !
في الصباح والمساء
فعُد لنا . .
كي لا يسمونا يتامى فقراء
كم مرة سألت كل الناس ، في حزن شديد
أبي برىء !
فلماذا صفدوه في الحديد ؟ !
فأطرقوا . .
كأنهم جميعاً سجناء !

* * *

— وذات ليل طرقوا الباب ، ومروا داخلين
من أنتم ؟
ماذا تريدون ؟

وماذا تحملون ؟
لكنهم ألقوا إلى قرب الجدار جثته
وحدقت فيَّ وجوه الذكريات الميته
وجففت مدامعي دموع الآخرين !

* * *

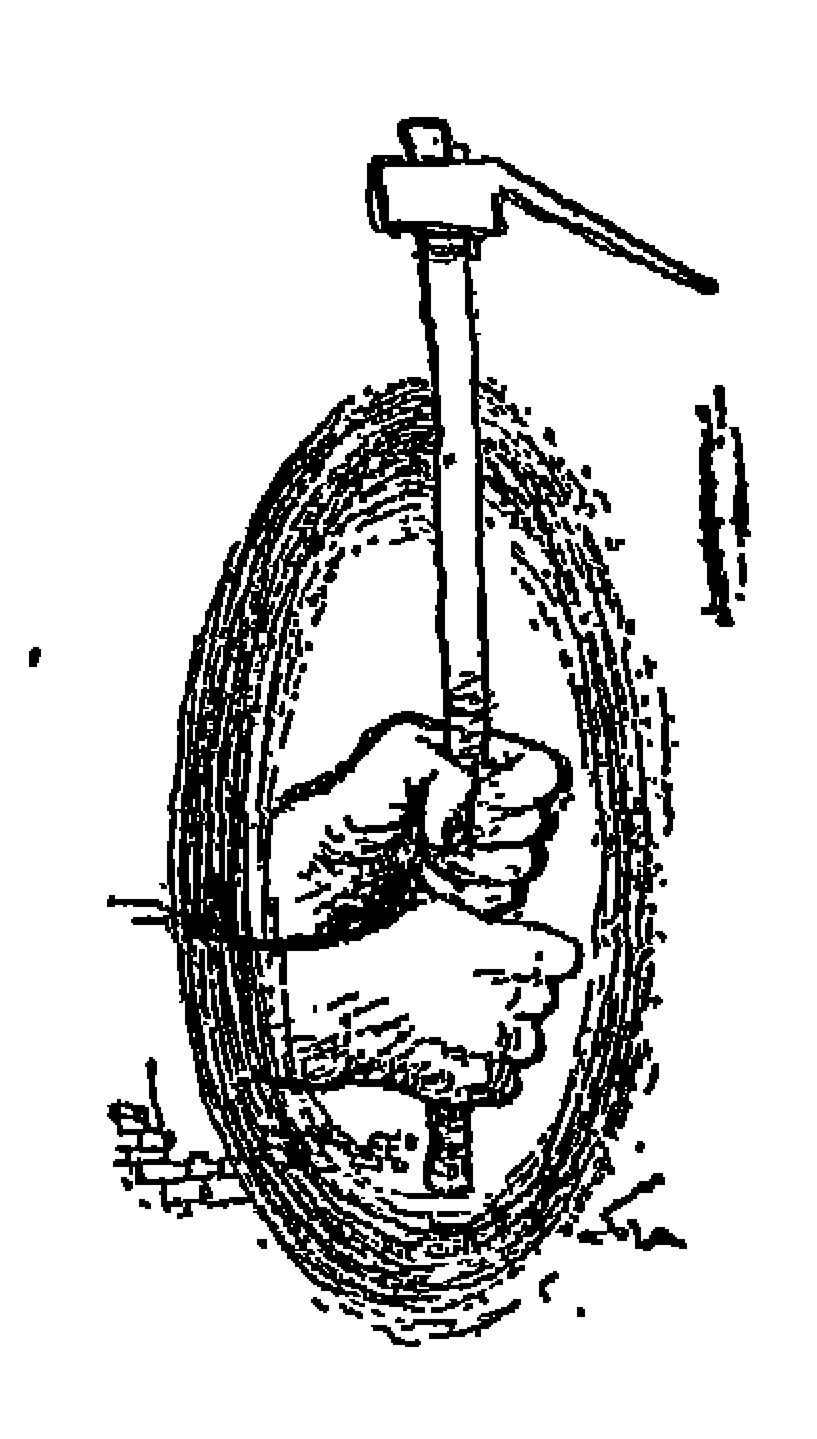
— غدا يمر موكب الجوع بدربنا القذر
فاخضوضري ياسنوات القحط . .
وانزل يامطر . . .
أغرق حقول الأرز والقمح ،
وأغرق النهر . .
وامسح بكفك الرمادية أحزان الشجر
لابد أن تصبح يوماً غلة الحصاد لى
وتصبح السماء والأرض ، ومجرى الجدول
وتنتهى مجاعة التراب ..
والبشر !

* * *

وذات يوم مظلم رطب . .

كسر داب طويل . .
صحا يهز راحتيه فى تشنج القتيل . .
وكانت الأيدى التى تحكى مناجل الحقول
تمتد فى عينيه سوداء كأشجار النخيل
فانهار فوق الأرض . .
فى حشرجة ممزقه
ثم تدلى من جدار الأفق حبل مشنقه
وجثة باردة تسقط فى الوحول

١٩٥٥





ورأت كيف يدرس الطاغية . . . فوق أبناء بلادى . . !

أنا لا أملك شيئاً غير إيمانى بشعبى
وبتاريخ بلادى
وبلادى أرض أفريقيا البعيده
هذه الأرض التى أحملها ملء دمائى
والتى أنشقها ملء الهواء
والتى أعبدها فى كبرياء
هذه الأرض التى يعتنق العطر عليها والخمول
والخزاوات وأعشاب الحقول
هذه الأسطورة الكبرى . . بلادى!

* * *

ذات يوم لم يزل يثقل بالنقمة أرواح جدودى
ذات يوم لم يزل يزحم أيام وجودى
وقفت أرضى ترنو للمقادير حزينه
وقفت كامرأة تنسج أكفان السكينه
وقفت مطرقه الرأس مهينه
ورأت فى نظرة واحدة . . أو نظرتين
نظرة خائنة صفراء ذات أجنحه

سفنا تزحم أعماق البحار النازحه
سفنا تغدو، وأخرى رائحه
سفنا مكتظة بالأسلحه
وبأبناء بلادى
وبخيرات بلادى
وبتاريخ بلادى

* * *

ورأت ملء شقوق الأرض آثار سياط داميه
ورؤسا عارية
ووجوها باكيه
ودروبا كالقبور اختلطت كتل السود بها والماشيه !!
ذات يوم أبصرت أرضى حقول الأبنوس الجاريه
وهى تبكى فى سكون وضجر
تحت رحمة البشر
وإرادة السماء والقدر

* * *

ورأت كيف تدور الساقيه

فوق أنهار بلادى

ورأت كيف يدوس الطاغيه

فوق أقداس بلادى

ورأت فى نظرة واحدة ، أو نظرتين

كلمة يكتبها الأبيض فى ليل بلادى:

يا بلادى !

* * *

ذات يوم وقفت أرضى حزينه

حينما لاحت على الأفق سفينه

ولأن الحزن نار بارده

تتمطى فى صدور من جليد

بقيت إفريقيا مستعبده

تخلع القيد إلى قيد جديد !

* * *

ولأن الضعف سجن

ولأن الخوف سجن

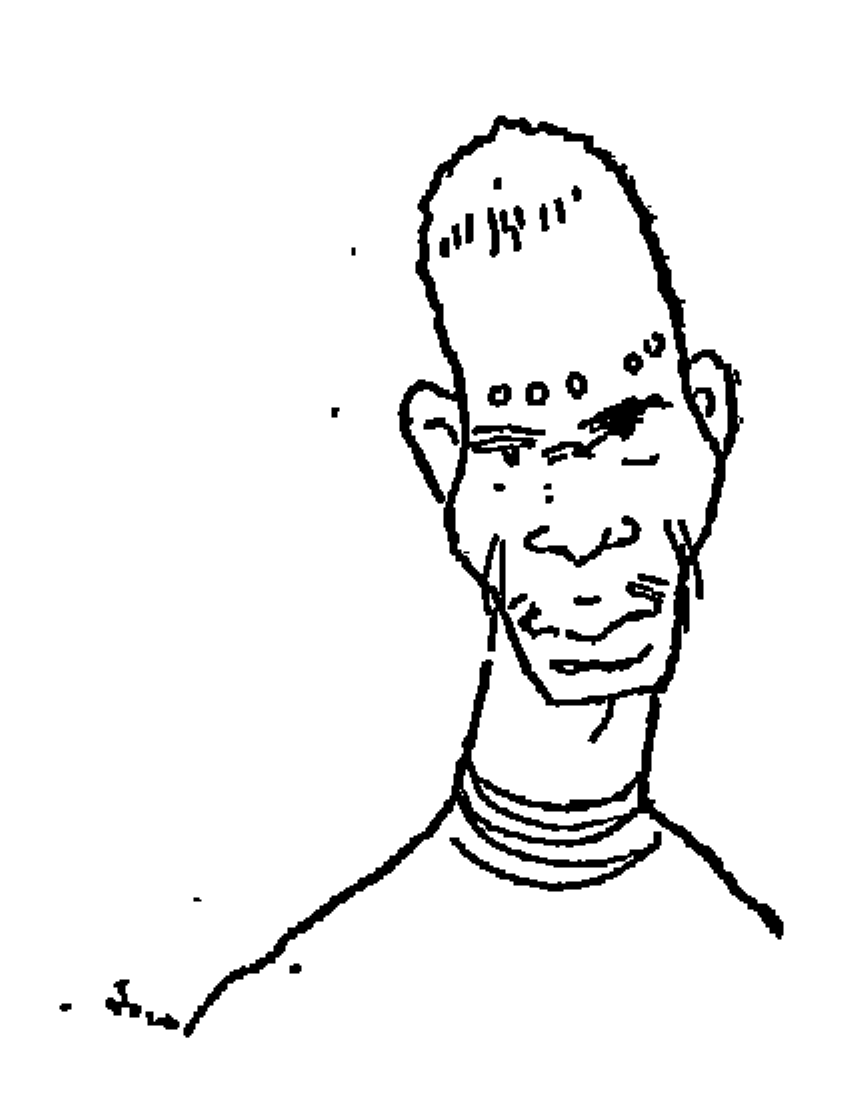
ولأن الماضى المظلم سجن

بقيت افريقيا مستعبده
تنقب السجن إلى سجن جديد !

* * *

ولئن الموت عبد
ولئن الظلم عبد
ولئن الحر عبد فى بلاد مستغله
ولئن القدر السيد عبد يتأله
والنبوات مضله
والديانات تعله
هب من كل ضريح فى بلادى
كل ميت مندثر
كل روح منكسر
ناقما على البشر
كل أعداء البشر
كافراً بالسماء ، والقضاء ، والقدر

١٩٥٥





الليل . .

ليل العبيد المتوّجين . . العرايا

القابعين تماثيل . .

فوق أرض الخطايا . .

الآثمين . . النبيين . .

القاتلين . . الضحايا . .

مثلي . . ومثلك

نحن المسوخ . .

نحن السبايا . .

* * *

الليل . .

هذي العيون المصعوقة المعدومة . .

هذي الشفاه الغلاظ

المصبوغة . . المحمومة . .

هذي الحكايا القديمة . .

هذى الجراح الأليمه . .
هذى السواقى . .
التى تطحن العظام الرميمه

* * *

الليل . .
فى كل ليل . .
يدوس فوق شعورى !
جنازةً تدفن الحزن
فى قبور السرور . .
سحابةً تمطر الموت
فوق روض نضير . .
وجه إله غريب
معذَّب . . مقهور . .

* * *

قد كان لى فى رباه
حديقة مهجوره . .
يجرّد البومُ فيها

أحزانه المستوره
ويلفظ الشجر الأسود . . العجوزُ
عطورَه . .
ويدفق الصمت . . واليأس . .
والظلال الحقيره !

* * *

دخلتها ذات يوم . .
على جناح الرياح
فأجهشت فى ربيعى ..
وأظلمت فى صباحى..
فرحت أطرد عنها
كآبة الأشباح . .
ورحت أخفى دوامى جراحها ..
فى جراحى !

* * *

وكم صباح سجين
أطلقته من دجاها . .

ونهر من دموع
فجرته فى ثراها ..
وشفق .. علقته كفاى
فوق سماها ..
وطائر شق هنا .. جمودها
فشجاها ..

* * *

وفجأة أبصرت
أعين الليالى الضريره
حديقة تتغنى ..
فيها طيور كثيره ..
وكان ثمة اصداء
صرخة مذعوره
لطائر باحث ..
عن حديقة مهجوره

* * *

يا ليل ..

يا جبل الصمت،

ياضريح الظلالِ . .

تُرى أعطتك بعدى

أوراقُ ريح الشمال

فحدثتك . . ومرَّت . .

عن أمسياتى الخوالى

وعن حديقة وردٍ ..

تجعَّدت فى خيالى !؟

١٩٥٤




امرأة عاطفة

لا . . لم يكن وهماً هواكِ
ولم يكن وهماً هوايْ . .
إن الذى حسبْته روحُك
قد تبعثر فى خطاى . .
ما زال طفلا صارخاً
جوعان يرضع من دماى !

* * *

وترددين . .
وانت ذاهلة . .
مطاطئة الجبين !
كيف استحلت على يديه
تراب تمثال مهين . .
كيف اختفت أيامه البيضاء
من عمرى الحزين !

* * *

وترددين . .
وملء جسمك . .

رعشة متندمه . .
كم كان يهوانى ..!
ويعبد روحى المتألمه
ويود لو يلقى ضياه
على سمائى المظلمه

* * *

وتضج فى دمك الشهىّ
مجاعة الشوق الدفين
فأراك فى جدران غرفتك الحزينه
تركضين . .
كالنور فى قيد الدجى ..
كالدمع فى عين السجين .. !

* * *

وأراك مطرقة على الأوراق
فى صمت ضجر . .
وهمومُك السوداء
حولك مطرقات تنتظر . .

كعجائز متجمعات
حول ميت يحتضر !

* * *

ويمر يومك ميِّتَ الخطوات
كالشيخ الضرير ..
اسوان يثقله الدجى ..
والرعب ، والمطر الغزير
وتطل خلف زجاجه
أطياف شاعرك الأثير !

* * *

وتجيء مركبة المساء
بصوتها القلق الكئيب
سوداء تجثم فوقها
أقدام عملاق رهيب
وتجرها خيل محدبة ...
كألسنة اللهيب

* * *

وتروح واقفة ببابك

في عناد تنتظرْ ..
فأراك هابطة
تشد خطاك أغلال القدر
حتى إذا ضمتك ..
غابت في الظلام المعتكر

* * *

وتظل توغل في المسير
تشق استار الغيوب
وتظل تقذفها الدروب النائيات ..
إلى الدروب ..
ويظل قلبك ..
مغلقا فوق المواجع والندوب

* * *

وهناك خلف جزيرة مجهولة
خلف البحار ..
تنمو على شطآنها السوداء
أحزان النهار

وتشب أشجار الخطايا
مثقلات بالثمار

* * *

ستكف مركبة العواصف
عن موالاة المسير
وستهبطين غريبة ..
خرساء، جامدة الشعور
تتكلمين بلا صدًى
وتقهقهين بلا سرور!

* * *

ولسوف يزحف ألف وجهٍ
ألف عبدٍ مارد ..
من ألف كهفٍ مظلمٍ
من ألف قبرٍ بارد
ولسوف يستبقون نحوك
في عويلٍ حاقد ..

* * *

ولسوف تضطربين
فى ذعر عميق النظرة
وتموت صرختك الرهيبة
فى ضجيج الزحمة . .
وكأنما حملتك رجلا آدمى ميت !

* * *

لكن أجنحة محلقة
ستقبل من بعيد
فى لهفة مجنونة
تطوى انتفاضتها الحدود
وتضم رعبك فى أسىً
وتعود فى ولهٍ شديد

* * *

وستطبقين جفونك
المسحورة المتبسمه
والحب يوقد فى سراديب الكآبة أنجمه
وعلى شفاه الكائنات قصيدة مترنمه

لا لم يكن وهما هواكْ
ولم يكن وهما هوايْ
إن الذى حسبته روحك
قد تبعثر فى خطايْ
مازال طفلا صارخا
جوعان يرضع من دماى





فى ذلك الركن من قلبكِ
الحقير المرائى . .
تمتد مقبرةٌ ضخمةُ . .
بغير انتهاء . .
فيها عبيد عرايا الأسى . .
عرايا الشقاء . .
تحمل أيديهم الشوهاءُ
حقد الدماء . .
وملء أرواحهم
نقمةٌ على الأحياء
رأيتهم يتهاوون
فى جمود المساء
والريح من حولهم
كالحوائط السوداء
والليل بئرٌ كبير . .
مختلط الأشياء . .
وأنت . . أنت وراء الجميع . .

صيف القضاء ..
تضطجعين بصمت مُرٍّ
كطعم الدماء . .
في هودج ذهبيّ
مزركش بالضياء
يدوس فوق عظام الفانين
والغرباء . .
فتستبد بأذنيك لعنة الأصداء . .
وتضحكين بحقدٍ . .
بلذة . . باشتهاء
وتحلمين كأفعي
تنام في استرخاء
على رمال الصحارى
اللهبية الصفراء . .
بفارسٍ قدماه . .
فوقَ جبين السماء
أسود َقد أنضجته

مواقدُ الصحراء . .

تفوح من إبطيه

رائحة الأنبياء . .

وفى خطاه . .

جلال النبوغ والكبرياء

١٩٥٤

لقــاء

لعلك مازلت مثلى ..
تعيشين فى رعشة الليلة الخالده
فقد كان ملء الفضاء عويل
وملء عواطفنا الجامده ..
وكان لقاء حزين ..
حزين كأوجه أيامنا الراكده..
عرفنا به كيف يبكى التراب
وترتعد الجثث الهامده !

* * *

وحدّقتِ فىَّ بوجه غريب
عميق الكآبة .. عاتى القلق ..
رأيت عليه خمول الرماد ..
وذل الأنين .. وحزن الغسق
فشردت عينىّ فى كل وجه
وأطلقت روحى ملء الأفق
وألصقت فوق فمى بسمة ..

كأنفاس مجمرة تحترق . .

* * *

ورحت أغنى بأغنية ملوثة . .
بدماء الخطايا . .
ترددها صرخات السكارى
إذا طوفوا بيوت البغايا
ورحت أجرجر خطوى بعيداً
لأخفى عن الذكريات أسايا . .
لكى لا أراك . . لكى لا أرى
الثلوج تغطى الحقول العرايا

* * *

لكى لا أرى جثة ميتة . .
تطل بعينين نحو الحياه
بعينين عذبتانى طويلا
وعلمتا كبريائى الشكاه
بعينين كنت أرى فيهما
خضوع العبيد ، وبطش الطغاه

وكنت إذا ما سئمت ترابى
حلقتا بى نحو الإله !

* * *

وغبتِ . . وغبتُ بقلب الزحام
زحام الطريق . . الطويل . . القديم
وكل الذى بين أجفاننا
سماء مكفنة بالغيوم
وكل الذى خلف أعماقنا
مقابر معشوشبات الهموم
وكل الذى سوف يبقى لنا
من العمر . . رعشة حب عظيم

١٩٥٥

الشـــك !

كان الدجى أسود من لعنة
من صرخة حاقدة فى الصدور
وكان طول الدرب ، طول الأسى
طول اكتآبات شبابى النضير
وكانت السحب تغطى السما
كأنها أكفان ميت فقير
وكنت أمشى متخما بالردى
كدودة تزحف بين القبور

* * *

وكنت فى فكرى ، فى أعينى ..
كنت أمامى فى الفضاء الكبير
امرأة عريانة ترتمى
فوق سرير خشبى صغير
سمعت وحدى خلف سور الدجى
خلف سكون الكائنات المثير

رجفتها رجفة صفصافة
تهزها ريح مساء مطير
حتى تعرت كل أغصانها
من عزة النور ، وجد العبير
فارتعشت كل معانى الورى
ساقطة تحت حذائى الحقير
وانهار فى سمعى صدى معبد
يهوى إلى الأرض حزين المصير
وعانقتنى نقمة
لم تطف يوماً بأعماق إله صغير !
وانبعثت نارى مسعورة
تأكل فى صدرى حتى الضمير
لكننى بالحقد أطفأتها
أطفأتها بالاحتقار الكبير
فأى أنثى . . أى مخلوقة فى الأرض
تستأهل هذا الشعور ؟ !

١٩٥٤



الأرض مزحومة بالمصفَّدين الضحايا
والأفق غيمان . . غيمان مدلهم الزوايا
والدرب منطفىء اللون
فى شحوب البغايا . .
ففيم خطوك فوق العظام . .
فوق البرايا . .
وأنت عريان إلا من الهموم العرايا
وغيمةٌ من دموع ..
وخيمةٌ من خطايا . .
يادائس الظلمة . .
أرجع محمَّلا بالشكايا . .
إن الطريق طويل
تغفو عليه المنايا ..

* * *

لكنه ظل يمشى

على جباه الصخور
معذَّب الوجه ، والنفس
والخطى . . والشعور . .
حتى تراءى له فى ظلال بعض القبور
قبر غريب عليه بقية من زهور
فانهار يدفن عينيه
فى أسى مستجير
ففى ثرى ذلك المدفن الصغير الصغير !
نامت قلوب البرايا
فى قلب ناجى الكبير . .

* * *

وقال ، وهو كئيب
مستغرق فى صلاته :
كم شاعر مثل ناجى
مضيع فى حياته
وشاعر وهو حى
يمشون فوق رفاته

وشاعر جردوه بالحقد من معجزاته

وشاعر توّجوه على حطام بناته

وشاعر خلدوه والموت بعض صفاته

وشاعر مات حلم الخلود فى نظراته

* * *

وقال..والدودنشوان من بقايا الضلوع

رب ليال قضاها ناجى

بقلب وجيع ..

مثل نبى عظيم

مجلل بالخشوع

يبارك الساقطين..

الباكين خلف الربيع

وينثر النور ، والحب فى طريق الجموع

حتّى إذا غسل الفجرُ وجهه بالدموع

مضى يوارى أساه

عن سخريات القطيع !

* * *

وبينما هو مصغ إلى السكون الرهيب
توشح الأفق بالنور والجلال المهيب
ورف صوت إله
مجنح من قريب
فيه غموض الدياجى
وفيه عمق الغيوب
وفيه دق النواقيس
وابتهال الغروب
وفيه حزن نبيٍّ معلق فى الصليب
وفيه روح غريب
كروح ناجى .. الغريب

* * *

ورددت جنبات الفضاء رجع النداء
وراح يغمس عينيه فى سحاب الضياء
وراح يسكر أذنيه من جلال الغناء
« إن الضحى مشعل فى أصابع الظلماء
إن الربيع زهور على طريق الشتاء

إن الحياة دروب إلى قبور الفناء
إن العذاب جناح الشهداء نحو السماء

* * *

وظل يصغى إلى الصوت مطرقا فى سكينه
حتى إذا ابتلعت هوة الظلام حنينه
مضى ينفض عنه أعباءه وسنينه
ثم انحنى فى خشوع ..
فى رعشات حزينه ..
مقبلا قبر « ناجى »
والريح تسفى جبينه
وعاد يدفع رجليه
نحو سور المدينه !

١٩٥٣



لقد عدنا .. أجل عدنا من الحرب ميامينا
على أعناقنا . . قد عبأ والنصر رياحينا
ومن أفواهنا قد جسموا المجد . . أرانينا
لقد عدنا . . ولكن لا كما شاءت أمانينا
إلا ياليتنا متنا بعيدا عن أراضينا . . !

* * *

لقد عدنا من الحرب إلى الحقل . . إلى المصنع
لكى نحرث ، كى نبذر ، كى نحصد ، كى نجمع
لكى نبنى للغير . . لكى نطهو ولانشبع
لكى نحلم بالفجر الذى من يدنا يسطع
لكى نصنع حربا ضخمة أخرى . . لكى نصنع . .

* * *

لقد عدنا إلى الأكواخ . . أكواخ أهالينا
وكنا قد كسوناها بأسمال أمانينا
فماذا أبصرت أعيننا غير مآسينا
وغير الطلل الموجع نبكيه . . ويبكينا
وان لج بنا الشوق لمسناه بأيدينا

لقد عدنا ألا تبصرنا تبصر بلوانا
بقايا آدميين مساكين . . بقايانا
نجرجر خلفنا التاريخ أشلاء وأكفانا
ألا ليت الذى رقّعنا بالموت أبلانا . .
ولم يبق لنا كالناس أشواقا ووجدانا . .

* * *

لقد عدنا .. أجل عدنا .. ولكن عودة المقهور
شربنا عرق الحرب .. أكلنا صدأ التنور
لبسنا كفن الثلج .. سكنا جدث الديجور
وهاعدنا إلى القيد .. إلى قيد الأسى المضفور
فيا ضيعة هذا العمر .. هذا الصدف المكسور

* * *

وقالوا . . قال رب السوط ، والقانون ، والقوه
سأمضى قبلكم . . إنى لكم . لقطيعكم قدوه
ولكنا مضينا وحدنا نحتضن الهوه . .
وظل السيد المعبود فى رقدته الحلوه . .
وكانت كاسنا الموت . .

وكانت كأسه الشهوة . . !

* * *

فماذا يبتغى الجلاد ، ماذا يبتغى منا ؟
لقد سرنا كما شاء ، وعدنا لا كما شئنا
هدمنا ، وتّهدمنا ، وعذبنا ، وعُذبنا
وكم حلم سحقناه ، وكم مقبرة شدنا
وكم من مرة متنا ، وكم من مرة عشنا . .

* * *

فلا بارك هذى اليد ، لا باركها رحمن
إذا لم تسق بالحب طمأنينية الحيران
إذا لم تك فأسا فى جدار البطش والطغيان
إذا لم تك ميزانا لروحانية الانسان
إذا عاشت لغير النور والرحمة والايمان

١٩٥٠

هو اها

تقولين أن يدى ضيّعتك ..
وقد كنت تحيين ملء عروقى
وأن هواك العظيم .. العظيم
زجاج تحطم فوق طريقى ..

* * *

وإنك أصبحت قبرا قديما من الذكريات..
يعيش بقلبى
ينام الشذى فوقه والعفونة ..
والورد والشوك .. جنبا لجنب

* * *

وأنى أصبحت عنك غريبا
يمر عليك فلا تعرفينه ..
غريبا تلاقيتما مرة ..
وغطتكما ظلمات المدينة !

* * *

إذن فاسمعي . . إنني سأغني
سأعزف لحن الجناز الكبير . .
فقد آن لي أن أهز الحياة بحزني . .
بكل مراثي القبور

* * *

سيحيا بقلبي كلَّ صباح هواك . .
ويذبل عند الهجوع . .
فأدفنه في خرائب نفسي . .
وألقي عليه تراب الدموع . .

* * *

وأسهر طول ليالي الشتاء .
أضيء الشموع . . وأطفئ الشموع
وأقطف زهر الظلام الحزين
وأنثره فوقه في خشوع

* * *

وأحنو بكل كياني عليه . .
والثم جبهته البارده . .

وأغرق ناري في شفتيه
وناري ملعونة . . حاقده !

* * *

إلى أن يجيء الصباح الجديد
وينفجر الدم ملء السماء
فيحيا بقلبي هواك الشهيد
لأندبه خلف سور المساء !

١٩٥٤




هذا
الشعب

مشى على الشوك أزمانا وأزمانا
وعانق الأرض جوعانا وعريانا
وخرّ تحت أنين الفأس مقبرة
ودبّ خلف زوايا الكوخ جرذانا
وذاب بين سواقى الليل أغنية . . حزينة .
وذوى فى الدوح أغصانا
وعاش يسقى تراب الأرض من دمه
ويحصد الحقل أشواكا ونيرانا !
حتى إذا قيل ماتت آدميته
وهو الذى هوّن الدنيا . . وماهانا
وقيل : لم تدع الآلام منه سوى
محنط . . يحمل الأيام أكفانا . .
تحرك المارد العملاق فى دمه
وشب يزحم شريانا فشريانا
وحط من شرفات الموت صاعقة
وهب عاصفة . . وانساب طوفان
وأبصرت مقلة التاريخ آلهة

مخلوقة ، وطواغيتا ، وأوثانا
وطاطأ القدر الجبار هامته
وخر فوق ثراه الحر إيمانا

* * *

آمنت بالشعب جوعانا وعريانا
آمنت بالشعب أسوانا وحيرانا
آمنت بالشعب .. بالشعب الذى اشتعلت
زهوره فى يد الجلاد نيرانا ..!
فهب ترقص رجلاه على جرف هار
وترتجف الكفان خسرانا
لم يغنه أمسه الباغى ..
ولاغده لما تفجر حقد الشعب بركانا ..
ناداه .. يا أيها المغرور قد وجبت
إرادة الشعب .. فاخلع تاجك الآنا
كفاك مناضراعات ، واذعانا
وحسبنا منك تخريباً وطغيانا

* * *

فمن رآه وقد دفت سفينته

والشمس تطلى جدار الغرب أحزانا

رأى جنازة طاغوت تشيعه

لعنات أمته . . شيبا وشبابا

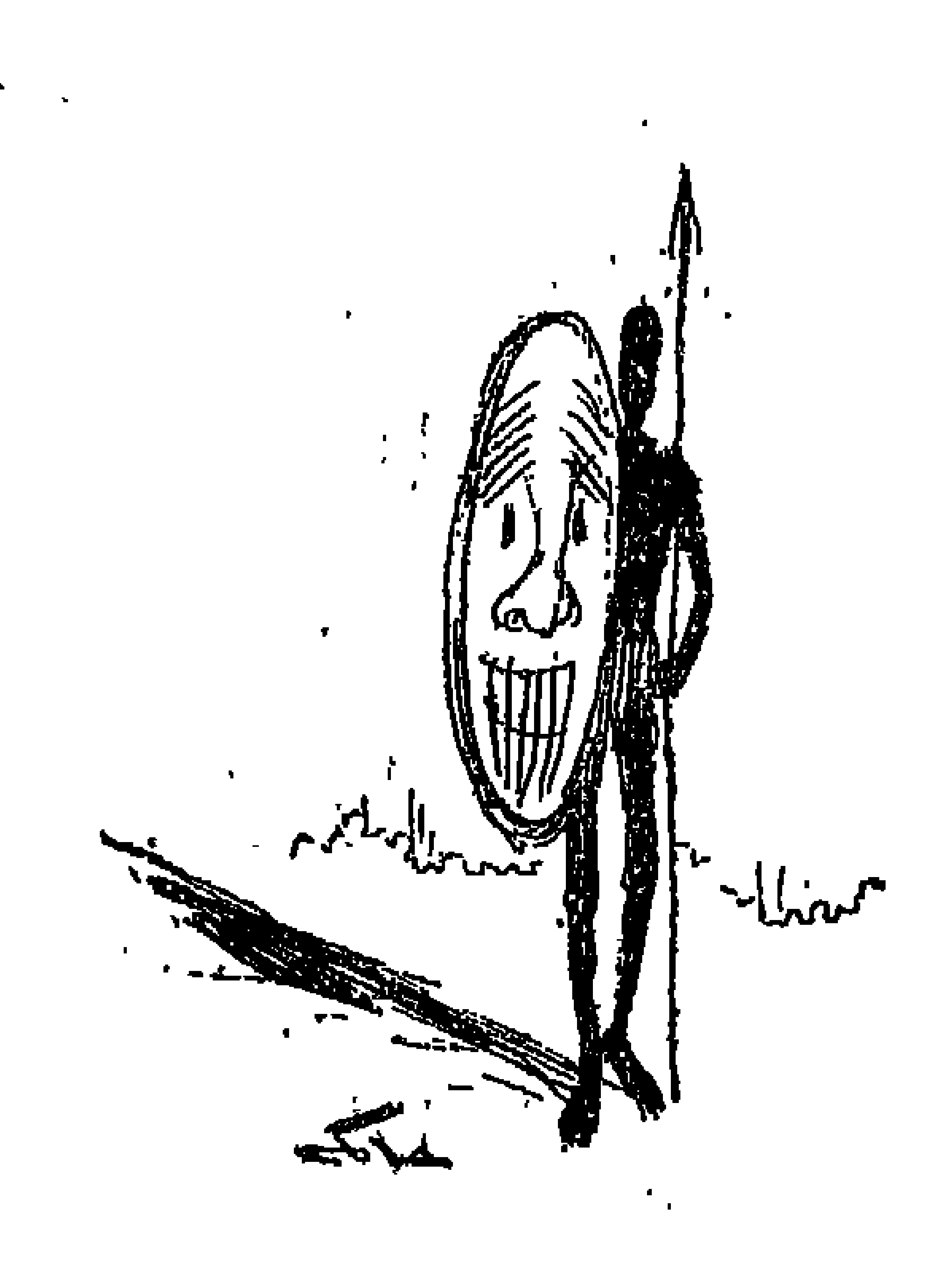
رأى وجوها ، وأعناقا ، وأذرعة

تكاد تطفر احقادا وأضغانا

رأى شعوبا إذا ديست كرامتها

داست عروشا ، وأربابا ، وتيجانا !

١٩٥٢



عودة نبي !

(كتبت فى ذكرى الشابى)

حسبك من فنك هذا الخلود
يا أيها الشادى بسحر الوجود
بعثت شعبا من سجون البلى
وأمة ترسف تحت القيود
سكبت لحن الفجر فى قلبها الصادى
فأرعشت دجاها المشيد . .
واغرورقت بالشوق أعماقها
واخضوضرت أحلامها من جديد
واستيقظ الماضى البعيد المدى
وانتفضت حتى عظام الجدود
فاسمع برغم الموت أصواتها
مختلطات باللظى والحديد
وشق صدر القبر . .
واعقد لها من شعرك الخالد أسمى نشيد
فصرخة الإيمان أقوى من الموت

وأبق من تراب اللحود ..
يا أيها الذاهل فى حلمه ..
يجذب عينيه الفضاء البعيد
أقسمت ماضاع هتافى سدى
لكنه هز ثراك المجيد ..
كأننى أسمع شبابة
حنينها الجارف يطوى الحدود
كأننى أبصر ذا غربة ..
يود من غربته أن يعود !

* * *

يامعجز الأرض بفن السما ..
ومعجز الموت بسر الخلود ..
كم زحزحت كفاك من صخرة
سدت على الفجر طريق الصعود
وكم مشت روحك فى هوة
صباحها خلف الزوايا طريد
وكم حضنت الشوك ..

مستغرقا فى فكرة مملوءة بالورود
وعشت كالمنبوذ . .
فى أمة هدت قواها مومياء الجمود
ومُت . . لكن الذى لم يمت
هذا البناء الضخم . . هذا القصيد
شعر كأشواقك يغزو السما امتداده
كالسنديان العتيد . .
شعر تمزقت عليه . .
كما تمزقت فوق السحاب الرعود
وانتبهت تونس مذعورة
مع انتفاضات الصباح الوليد
انتبهت تبحث عن نفسها . . عنه . .
عن الشادى الحزين الشريد
واستيقظت أعماق أفريقيا . .
تغسل بالنور خطايا الجدود . .
وانطلق المارد من سجنه
تسحق رجلاه بقايا السدود

وعدت يا شابى حرية . .
ثائرة ملء ضلوع العبيد
وعدت عزما فى وجوه الأسى
ويقظة ملء عيون الرقود
عدت نبياً كالنبيين . .
لو تدرك معناك عقول الوجود !
وعدت يا شابى فى ناظر الأعمى
وفى قلب الأصم القعيد

١٩٥٣



قصة العبقرية

(إلى روح صالح على شرنوبى)

نم عميقا . . فالموت حلم طويل
همجى الرؤى . . كحلم الحياة
والألى انكروك يوما . . سيأتونك يوما
فى خشعة والتفات . .
وسيحكى التاريخ للغد . . للأجيال
تلك المجهولة اللمحات . .
قصة الشاعر العظيم .. العظيم الحلم واليقظه
العظيم الصفات . .
حين غنى لقومه خير ماغنته
شبابة من الصلوات . .
فتناسوه كافرين بما غنى
وما فى يديه من أغنيات
مطبقين الآذان عن صرخات الروح . .
عن عبقرية الصرخات

محرقين البخور للنصب الجوفاء
ذات المشاعر الصدئات
فبكاهم . .
بكى العيون التي لا تبصر إلا مواطىء السادات
وبكى الأمة التي يستوى الموهوب فيها بالناظم النحات
وبكى نفسه . .
فقد كان قلبا عاطفيا موزع الرحمات!
ومضى عاريَ الربيع من الأوراق . .
حتى أوراقه اليابسات . .
نادبا كالخريف أزهاره البيضاء
أزهار عمره النضرات
ضائعا كالضباب . . غضبان كالبركان
غصان كالثرى بالنبات . .
جائعا كالظلام . . عريان كالنور
أليما كأوجه الثاكلات . .
شاربا خمرة الهجير . . ودمع الليل . .
ونار العواصف الجامحات . .

ثم لما أرخت يد القدر الفنان
ستار المأساة . . الملهاة . .
أصبحوا حافلين بالنعش . .
فى حزن كبير . . بالجثة الملقاة !
وأتوا ينثرون فوق صخور القبر . .
ورود العيون . . والمهجات
فظلام المنون كحّل أجفانهم
بالنفاذ والانصات . .
وجلال المنون حرّر ميزانهم
من عبودة الشهوات . .

* * *

أبدا لم تمت، فمثلك فوق الموت . .
فوق النسيان والذكريات . .
إنما الموت للزواحف فوق الأرض
لا للمحلقين البزاة . .
ولقد كنت فى حياتك كالنسر
قوى الجناح والضربات . .

تقطع الكون فى انتفاضة ذهن . .
وتجوب القرون فى لمحات . .
وتهد الوجود هدا . . وتبنيه
كما شئت شاعرى السمات . .
كنت تستلهم الحياة أغانيك
فأقبلن نبضا بالحياة . .
لا عظاما مخنطات
عليها رغم لون الطلاء .. لون المات!

* * *

أبدا لم تمت فمثلك فوق الموت، فوق النسيان والذكريات

١٩٥٢



قطرة الضوء

ياجفنى الساهد . . نم
قد رقدت حتى الظلم
حتى حقول الحنطة . .
المتشحات بالسقم
حتى مسارج الزيون
العالقات فى الخيم
حتى عيون الأفق
المنطفئات فى سأم
حتى مباخر الشذى
حتى مراوح النسم
حتى أراجيح الظلال
الراقصات بالقمم
لم يبق فى الوجود . .
كائن سوانا لم ينم
نحن الذين نقطر الضوء

بأجفان الرمم . .
ياكم تكحلنا بليل . .
وتدثرنا بهَم ! !
وكم مشينا فوق شوك اليأس
من نجم لنجمْ
وكم حرثنا حقلنا . .
بفأسنا الأعمى الأصم
وكم حصدناه . . حصدنا
مازرعنا . . ثم لم ! !
بلى . . جنينا ملء أيدينا
جراحات . . ودم !
كأننا لمـا زرعناه
بذرناه ألم . .

* * *

ياجفني الساهد نم
قد رقدت حتى الظلم

١٩٥١

الى مومياء

كان ليل . . وكان صبح . .
وكانت قصة آدمية مختومه
قصة تعرفينها . .
فلقد مثلت أدوارها معي يا أثيمه
ومضينا . . أنا . . وأنت
فقد تمت فصول الرواية المرسومه
ومضينا كل إلى حيث يبنى من جديد
أيامه المهدومه . .
وكأن لم تكن لنا ذكريات
حفرتها أقلامنا المحطومه
ونسينا . . أنا . . وأنت
نسينا كل شيء حتى حديث الخصومه
وهوانا العنيف كم كان ضخما . .
والمواعيد . . والأماني القديمه
والطريق الطويل .. والمنحنى الضيق

والسنديانة المهمومه . .
ونسينا الكوخ الذى تتبناه
الأكف المعشوشبات الكريمه
ذلك الكوخ كم لنا فيه من ذكرى
وكم من حكاية مردومه . .
كم مساء ما زال نشوان ..
ما زالت بقاياه حيث كنت مقيمه
لم تزل منه صرخة فى عيون الهرّ
فى أوجه الطيور الرحيمه . .
حينما كنت . . كنت حقل هشيم
ترتمى فوقه رياح عظيمه ..
حينما كنت ياشقية ..
تسقين هجيرى ظلالك المحرومه
كنت تحيين فى دمائى
وأفنى أنافى ساعديك .. فى ديمومه
إن تكونى نسيتنى ..
ولقد تنسين حتى أنفاسك المحمومه

فالمسى جسمك الثمين ..
فقد أدمته يوما أظافرى المنهومه
والمسى شعرك الثرى ..
ففوق الأذن والأذن خصلة معدومه
والمسى ثغرك الملىء ..
فكم أفرغته .. كم أذبت فيه جحيمه
واسألى كل ذرة فيك ..
تصرخ : إنى كنت فى يديه غنيمه !
غير أنى لا زلت ظمآن ..
لا زالت بقلبى من اللظى جرثومه ..
لم أزل جائع الحياة إلى الصيف ..
إلى أمسياتك المرجومه ..
فتعالى يالعنتى ..
قبلما تجمد نيران كأسك المسمومه
قبلما تذبلين .. تذبلك الأيدى ..
وأيدى المروضين رجيمه !
قبلما تطرقين بابى .. باب الكوخ

مسحوقة الصباح .. حطيمه ..
وعلى وجهك الرخامى ..
ألقى معول الليل يأسه ووجومه
وبعينيك .. يا لآلام عينيك ..
حنين إلى الليالى اليتيمه ..
غير أنى لن أستجيب لهذا الصوت..
صوت الأنوثة المهزومه ..
أبدا .. لن أستجيب ..
وإن كانت ستبكيك فى فمى ترنيمه
فلياليَّ لا تزال كما تدرين ..
مخضرَّة الهوى .. مزحومه
وستمضين للطريق كما جئت ..
كما أقبلت خطاك .. أليمه
وستأتيك من بعيد .. مع الريح
تناهيد آثم وأثيمه ..
فتعالى يا رغبتى ..

قبلما يركم فى دربك الزمان همومه
أقبلى . . قبلما تجفين .. تحترقين
تمسين مومياء قديمه !

١٩٥١

نحو الصباح

حيران .. يقظان يا فؤادي
والناس هانون راقدونا
الليل نحو الصباح جسرٌ
بنى الدجى فوقه الحصونا ..
تعبره الكائنات وسنى
بينا عبرناه ساهرينا . .
فامش معي، امش يا ابن ذاتي
ولندع القوم حالمينا ..
لعلنا ندرك الأماني
من قبل أن ندرك المنونا
لا تحسدالناعمين ..
واحسد بني العذاب المسهدينا
أولاء آباؤهم بنوهم ..
ونحن من يبتني البنينا ..
ومن يرم مثلنا طموحا

هيهات أن يطبق الجفونا
والنوم للخاملين . .
لا للمكبلين . . المعذبينا
لست ابن من أقطع الرعايا
ولا ابن من شيد السجونا
لكننى ابن العواصف . .
ابن السيول ، والنار أجمعينا
ابنك ياشعب . .
يا صباحا يستل أنفاسه دفينا

* * *

ماذا أرى يا ظلام ؟
ركبا تحت الدياجى محدبينا
حافين ، عارين ، لاهثينا
باكين ، شاكين ، ضارعينا
وراءهم مارد رهيب
يزرع فى الأنفس الشجونا
تقطر جنباه كبرياء
ويغتلى صدره جنونا . .

يدوس هذى العظام دوسا
كأنه طاحنٌ طحينا ..
فابك معى موكب الضحايا
يصعّد الشجو والأنينا
رواية مُثلت قديما
مثّلها خفرع ومينا
ولم يزل بعد ألف قرن
فرعون يستعبد القرونا
قد سارت الكائنات قدما
فمالنا نحن جامدونا ! !

* * *

ماذا أرى يا دموع !
قصراً أراده المجد أن يكونا
حيطانه تلك !
أم مرايا من فوق حيطانه جُلينا ؟
كأن جدرانه الزواهى
سقين بالشمس .. أو طلينا ..

يا جنة الخلد فى مداه
وحوله تفتن العيونا
إنا عدمناك مشتهينا
كما اشتهيناك معدمينا
لا تعبقى بالنسيم ..
إنا من نتن الكوخ زاكمونا
لا ترقصى للربيع ..
إنا من ظلمة الكوخ قد عمينا

* * *

ماذا أرى يا حياة ؟
إنى جننت من حيرتى جنونا
قبران ..!
ذا شيد من رخام تخطف ألوانه العيونا
وذاك فى صخرة نحيت
أقسمت ما كاد أن يبينا
هذا عليه الربيع ضاف
يرف ورداً وياسميناً

وذاك يمشى الخريف فيه

يبارك العوسج اللعينا

ويلاه ياعدل . .

ياسطوراً تنطق بالسخريات فينا

حتى أمام الفناء فرق ميزنا جوهرا وطينا !

* * *

ياأمة تعبد التماثيل والطغاة المتوجينا

أقسمت لا تحملين إلا منافقين أو كافرين

فامش معى. امش يارفيق

مثلى . . مستغرقا حزينا

فماسة الصبح قد أشعت

والقوم قد فتحوا الجفونا

١٩٤٩



الضعف

ما بيدى أن أرفعك . .
ولا بها أن أضعك . !
أنت أليم . .
وأنا أحمل آلامك معك
وجائعٌ . .
ومهجتى جوَّعها من جوعك
وأنت عار
وأنا . . ها أنذا عار معك
ياشعبي التائه . .
ما أضيعنى ، وأضيعك
ما أضيع الثدى الذى أرضعنى . .
وأرضعك
ياليته جرعنى سمومه
وجرعك
فما احتقرتَ أدمعى . .

ولا احتضنتُ أدمعك
ولا انكفأت فوق قبر اليأس
أبكى مصرعك . .

* * *

أيتها الجميزة العجوز !
من ذا زرعك . .
يا غرسة الخمول . .
لا بورك حقل أطلعك
هيهات أن يكون مبدع النجوم مبدعك
أماسئمت تحت أقدام الدجى مضطجعك
فقمتِ فى نهر الطموح
تغسلين أذرعك
كم جنح الريح بواديك
فهلا اقتلعك . . !
وانتفض الفجر حواليك
فهلا صرعك . . !
ففكرة الحياة

أن تبدعنى ، أو أبدعك
وفكرة الفناء
أن تصرعنى أو أصرعك
ياليتنى عاصفةٌ ، قاصفةٌ
كى أسمعك !

١٩٥٢





« أيها السائق
رفقا بالخيول المتعبه !
قف . .
فقد أدمى حديد السرج لحم الرقبه
قف . .
فإن الدرب فى ناظرة الخيل اشتبه »
هكذا كان يغنى الموت حول العربة
وهى تهوى تحت أمطار الدجى مضطربه!

* * *

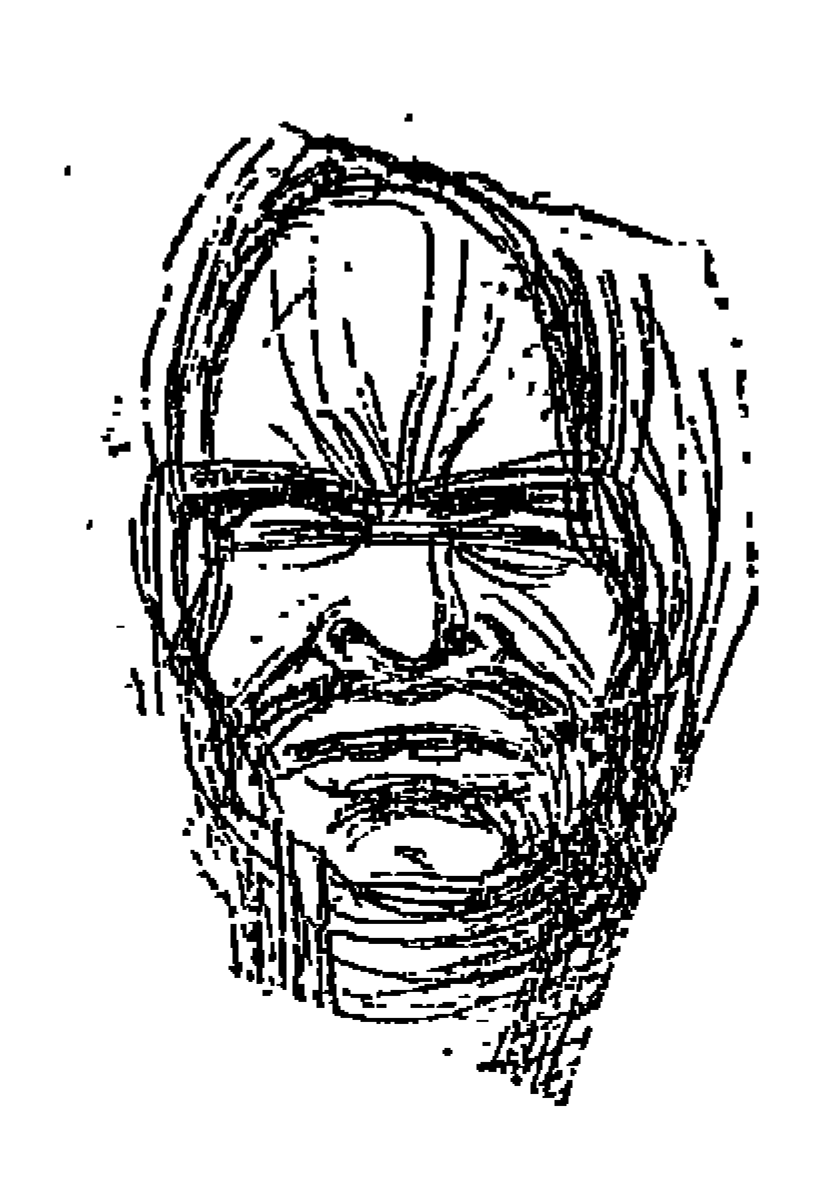
غير أن السائق الأسود ذا الوجه النحيل
جذب المعطف فى يأس
على الوجه العليل . .
ورمى الدرب بما يشبه أنوار الأفول
ثم غنى سوطه الباكى
على ظهر الخيول . .

فتلوت . .

وتهاوت . .

ثم سارت فى ذهول !

١٩٥١



النهر الظامىء

أريد أن أعشق .. أن ألمس الأعماق
أن ألمس أعماقى . .
أن أعبد الله كما لم أكن أعبده
فى عمرى الباقى . .
بى ظمأ . . بى ظمأ قاتل . .
فأين ينبوعك . . يا ساقى!
أكاد لا أبصر حيث ارتمت عيناى
إلا دم أشواقى . .
أطفىء باعصارك هذا اللظى الأسود
فى قلبى . . وأحداقى
أطفئه إنى نهر ظامىء للحب
فى جنة عشاق . . !

* * *

إن هزت الريشة فى أنمل الرسام ..
فى سكرة إبداعه . .

فالصورة الشوهاء . . ماذنبها ؟
ألم تكن غلطة إسراعه !
وكيف تشقيني بما لم تكن لى طاقه
فى رسم أوضاعه . .
سئمت جدبى فى ربيع الورى . .
وظلمتى فى نور امتاعه . .
وثورتى فى ظل أحلامه ..
وصرختى فى صخر أسماعه
سئمت ضعفى . .
آه للبئر لو لم تطلع الشمس على قاعه !
* * *
وآه لى لو لم يعانق دمى كرمتها . .
كرمة أحلامها . .
وآه لى لو لم يذوب فمى . . .
هذا الجفاف الضخم . . فى جامها
ولو تدثرت بموتى ، ولم تلفنى خضرة أيامها !
ولم أباركها بصوفيتى . .
ولم تطهرنى بآثامها . .

لسوف أحيا فى الورى ثائرا
على معانيها . . وأحكامها
محتقراً كل نواميسها . .
حتى ألوهية أصنامها . !

* * *

قالوا : لك الفن . . ولم يجتمع فى كائن قبلك مجدان
والفن أشواق ألوهية تولد . . فى أعماق إنسان . .
والفن أقباس سماوية
والناس ألعوبة فنان
فخل للفانين دنياهم . .
فإنها معرض ألوان . .
وامش بآلامك فى عيدهم
فإنها آلام رحمان . .
واحمل بجنبيك جراحاتهم . .
وخلد القسوة فى الفانى !

* * *

فقلت ، والرغبة فى داخلى . .
عاصفة . . ماردة . . عاتيه . .
ياليتنى راع ، عتيق الرداء . .
ذو عصا ، مشقوقة ، باليه . .
شرابه من دمعة الساقيه . .
وقوته من مهجة الداليه . .
يسوق للغابات أغنامه . .
وروحه . . كروحها صافيه
راع له صاحبة ترتجى عودته فى الليلة الشاتيه . .
حتى إذا عاد إليها ارتمت فى حضنه أدمعها الهانيه !

* * *

يا ليتنى فراش نحل . .
جناحاه على هيكله شعلتان
يعيش فى منعطفات الشذى
فوق حدود الوهم . . فوق الزمان
ورشفة ترويه . . أو رشفتان
وحسوة تغذوه . . أو حسوتان

حتى إذا عاد إلى عشه الشمعى فى أودية السنديان . .
خفقت له أنثاه فرحى . .
وفوق مقلتيها نبتت ضحكتان
يا ليت قلبى قلبه . . ويدى جناحه
وموطنى اللامكان . . !

* * *

ياخالق الانسان من طينة
وخالق الفنان من طينة
عذبتنى بالفن . .
عذبتنى بهذه النار السماوية
لسوف ألقاك غداً صارخا بكل مافىّ من اللوعة
لم تشقنى دمامتى فى الورى
لم تشقنى . . إلا حساسيتى
أدعوك لاتشق بها كائناً بعدى
فهذه النار من قسمتى . .
رضيت أن أفنى على وهجها . .
لكى يعيش الفن فى مهجتى !

١٩٥٤

السفر

الباب .. والسور .. ولون الحائط السقيم
ودرجات السلم المتسخ القديم ..
وأوجه النوافذ الباهتة الرسوم ..
تطل منها أعين بادية الهموم ..

* * *

والساحة العجوز تستغرق فى الشكاه
كأنما تنوء تحت ثقَل الحياه..
وعربات الخدم المطرقة الجباه ..
وصرخات الباعه المرهقة الشفاه

* * *

والناس كلما مضت مدخنة القطار
تصرخ فى وجوههم بغربة الديار
تهدمت من فوقهم جوانب النهار
وزلقت أرجلهم على بساط نار

* * *

وجرت الأعين فى الوجوه كالأكر
وأثقلت كل يد حقيبة السفر . .
فكم فم على فم هنالك انتحر
ودمعة واقفة كأنها حجر . .

* * *

وألف منديل صغير أبيض الحنين
يخفق فى ألف يد مكتومة الأنين
مثل جناح طائر فى رقصة المنون
مثل سراج أرمل تموت فى سكون

* * *

وكانت الساعة فى الجدار تنتظر
حين مضى بندولها يهتز فى ضجر
كأنه صاعقة فى ساعد القدر
كأنه يضرب فى بناية البشر !

١٩٥٣

(هــذا الشــاعر)


(الفيتــورى)

■ ولد محمد مفتاح الفيتورى فى عام ١٩٣٠ من أب سودانى وأم مصرية سودانيــة .

■ كان ميلاده مرتبطاً بميلاد قضيته . . . قضية تاريخه القديم وقضية واقعه الانسانى المعاصر .

■ ليس لأحد تاريخ كتاريخه ولا حاضر لحاضره ، إن الزنوج المضطهدين فى انحاء العــالم يضجون فى وجدانه العميق سخطاً على هذا الحكم الصارم الذى أصدرته قوة ما ، بلا مبالاة . . . بلا مجتمع سليم يضع قيما عميقة تحمى إنسانية هـذا الوجود الاسود . . .

■ جرب الفيتورى كثيراً : الناس ، الحياة الفشل ، الضياع . فكانت الزلازل الرهيبة التى سجلها شعره .

■ كل ما يمكن أن يقال عن شعره ، أنه تطهير لأزمة . . . صور دراماتية عميقة الشعور بمأساته التى هى مأساة الملايين . . . تعبير مجيد عن واقع نابض بالحضــور . . .

■ ان صوت شعره ليقف جنباً الى جنب مع اصوات شخصيات « ريتشارد رايت » فى « الغلام الاسود » « ابناء العم توم » ، واصوات شخصيات سارتر فى « البغى الفاضلة » وقلمه الذى يحتج باستمرار على صانعى المأساة : فى السماء والأرض .

رجاء النقاش